العزاء الحسيني

ماضٍ شفاف ... حاضر مرتبك... مستقبل مجهول

العزاء الحسيني
ماضٍ شفاف ... حاضر مرتبك...
مستقبل مجهول

غالب حسن الشابندر

اسم الكتاب: العزاء الحسيني

ماضٍ شفاف ... حاضر مرتبك... مستقبل مجهول

المؤلف: غالب حسن الشابندر

الناشر: دار جدل للتوزيع والنشر، بغداد .

الطبعة الاولى، 2023.

حقوق النشر محفوظة للمؤلف وأولاده. لا يُسمح بطباعة هذا الكتاب
أو تصويره أو نسخه إلا بإذن خاص ومسبق من المؤلف

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted without permission in writing from the author and the publisher.

الإهداء

إلى شهيدة الوعي النسوي العراقي بنت الهدى ... شهيدة العفّة ... آمنة الصدر ... فكر ثاقب... قلب من حديد ... إرادة تفلّ الجبال ...
غالب حسن الشابندر

ملاحظة مهمة

العزاء الحسيني في عقيدتى محصور بالحزن والهم والشعور بالكدر النفسي والبكاء الوقور ، أما التطبير واللطم العنيف والزنجيل وغيرها من مظاهر غريبة على روح القضية وجوهرها فليس في حسابي ذا قيمة ،بل أعتبره كارثة بحق الشهيد العظيم ، وإنتكاسة يندى لها الجبين ، وإضرارا بجوهر التشيع ونصاعته وتاريخه ، وإن قطع طرق الناس الى اشغالهم واعمالهم ، وتعطيل الاشغال الرسمية ، والتهرب من الدوام الرسمي بحجة الزياة أو إقامة العزاء على السيد الشهداء من بدع الدجل الديني والمذهبي ،ولا استبعد أن وراءه عصابات تستغل عواطف الناس وحبهم للشهيد من أجل منافع لا تمت للروح والعاطفة الأنيقة بصلة ، وربما هناك أيد خفية تمارس هدفها البعيد تشويه هذه الشعائر العظيمة ، وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

المقدَّمة

البُكاء... سرٌ دفين

بقلم :ـ

بكَّاءٌ لا يمل...سمَّاه ابوه «غالب «دون إذنه

هناك من ينتمي إلى معسكر العيون الباكية بطبعه... ربما نتيجة تراكم الهموم والنَّازلات الصِّعاب وتعاقب النكبات والاهوال... ربما... ولكن ماذا عساك أن تقول: إذا كانت فطرةً وجِبلَّةً ونزوعا، ثم حقد ُالدنيا وجَفاء الحياة وغربةُ الاخوان وخيانةُ من وفيتَ له بلا ثمن ولا حساب ؟

هناك من ينتمي إلى معسكر الجفاف، عيونهم جافّة، لم ترطِّبها دمعة، حتى لو ذُبِح طفلٌ بريء بين يديه !

ها هو الطفل يتقافز جسده الندي وكأنه عصفورٌ قُطِّعت نصفُ أوداجه، جسدُه يتقافز على التراب، التراب يملأ فيه، الدم يقاتلُ من أجل البقاء في الشرايين المجرّحة، ولكن في النهاية يتدفق متحسِّراً على حرمانه مُهمَّتَه النزيهة، يهمدُ لحظةً ثم ينتفض، ينتفض عاليا ثم يهوى، الهواء يرتعب، والتراب يصرخ من حرارة الدم...

يقف صامدا كأنه جدار...

لا يفقه معنى الدم...

وبين العين الباكية ونظيرتها الجامدة تتفاوت الدموع بين غزارة وندرة، وبين الغزارة والندرة تاريخ لا يحسبُه حاسب، ولا يستقرئه فاحص..

الدموع عالمٌ خاص...

دموع الحزن...

والحزن ُهوية قد يتفق على حدّها اثنان، وقد يختلف عليها اثنان، اقصد مصداقه وعينه الخارجية اوالاعتبارية، كذلك هو الدمع باعتباره المعبّر الخارجي عن حزنِ هذا الكائنِ الوجداني الجوَّاني.

وعليه :ـ

كم هو عالم الدمع رحب، يتَّسع لما تتَّسع له الدنيا من وقائع واحداث ومجريات، وقائع يتوشَّحها الاسى، وأحداث يتلبَّسها البلاء، ومجريات مشبَّعة بما يُوجِع القلب ويدمي الروح !

الطفل الرضيع يبكي، الجوع ينهش معدته فيبكي، وقد يبكي ألما لا لجوعٍ وإنما بسبب إلمِ ما، والاسباب لا تُحصى ولا تعُد فيما أردنا تقصِّيها... تلك التي تكمن وراء بكاء الكبار، دموعهم التي تتميز عن دموع الطفولة بسخونة إرادة في كثير من الاحيان، وهل أجرؤ بالقول ان بعضهم يبكي لأنه يبكي، فكان البكاء لا سقف له ولا حدود...

أولئك هم البكَّاؤون !

قد يكون البكاء صامتا، وهو البكاء الذي يحفر في داخل الذات حتى الإنهاك الروحي القاتل، وهناك بكاء ناطق، وما أدراك ما البكاء الناطق، يَفصح عن ضعفٍ لدى كثير من الناس، فيما هو تسامي

يفوق الصمت الصوفي نقاءً وصفاء، شريطة أن يكون موضوعه في غاية النقاء والصفاء، وما يدريك لعلّ هناك من يبكي في عالم بعيد عن صخب الصاخبين، وصياح المستهترين، ونحيب الليالي الحمراء، راجيا رحمة الله، بل راجيا دموع الله ان تشاركه عزاءه، لا خلاصا من عذاب الجحيم بل مواساة بائس ينتظر كسرة خبز عفنة مِن سَقْط متاع الجشعين.

هو البكاء...

عالمٌ غريب، وانِّي اذ اتكلم عن البكاء ذي الدمع، وليس البكاء الصامت، فذاك دمعه دفين، يحتاج إلى ذاتٍ شائقة البراء من ذنوب الأولين والآخرين.

اتحدى علوم الطب والتشريح والنفس والاجتماع والانثربولجيا ان تعي سرّ البكاء، البكاء لا عن جوع أو ألم جسمي،بل بكاء الروح، بكاء الضمير، بكاء الوجدان، بكاء الفقد، بكاء الشوق، بكاء الفراق، بكاء الرغبة بالموت، بكاء الرغبة بالبقاء، البكاء الذي يجرّ بكاء...

الصوفية تجربة شخصية، علاقة خاصة بين الصوفي وذاته، تاريخه يترجم تاريخه، كذلك العرفانية، فالعرفاني يستحيل عليه أن يقنِّن للعرفان، يجهل حتى كنه عرفانه، تجربة هائمة بموضوعها وعنوانها واسرارها، لا عيان يمكن تقنينه بدقة، سوى إلهامات شبحية، وإيهامات من وحي التجربة وليس التجربة ذاتها...

البكّاء هو كذلك...

يبكي من أجل ان يبكي ؟

لا أدري.

الجولة الاولى
مقتربات على طريق المحاولة

١. في تصوري المتواضع إن اروع وصف وتسمية آخروية بحق الحسين (سيد شباب اهل الجنة).

٢. في تصوري المتواضع إنَّ اروع وصف نضالي للحسين (الشهيد ابن الشهيد ابو الشهداء).

٣. في تصوري المتواضع كان هدف الحسين استلام الحكم مدنيا لإعادة سيرة رسول الله.

٤. في تصوري المتواضع ان الحسين واضع البذرة لمشروع الثورة بل كل الثورات في التاريخ الاسلامي فيما بعد حتى ثورة القرامطة.

٥. في تصوري المتواضع إنَّ ارقى انواع الحزن على الحسين البكاء الوقور.

٦. في تصوري المتواضع ان اروع وصف للحسين على مستوى فلسفة التاريخ (الاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء).

٧.في تصوري المتواضع ان احسن من كتب عن الحسين العلايلي والعقَّاد.

٨. في تصوري المتواضع ان من اخطر النتائج القريبة للثورة الاطاحة بالدولة الاموية فلم يكتب لها البقاءبعدها اكثر من ثمانين سنة.

٩.في تصوري المتواضع ان اكثر من ظلم الحسين ابن تيمية والغزالي وابن عربي.

١٠. في تصوري المتواضع ان المنبر الشيعي المعاصر اضر بالحسين كثيرا الَّا ماندر.

١١.في تصوري المتواضع كل خبر عن الحسين عليه السلام ليس مسندا صحيحا حتى اذا كان جميلا يشكل ضررا على الامام.

١٢. في تصوري المتواضع إنَّ كثيراً من المواكب رياء.

١٣. في تصوري المتواضع ان شعر التشكِّي والتظلم والتفجَّع على الماء والجوع اساءة للحسين.

١٤. العباس المثل الاعلى في الوفاء العقدي ثم الحسين.

١٥.أصحاب الحسين كانوا تجسيدا للمثل الاعلى على صعيد الايمان بالله ورسوله.

١٦. في تصوري ان اكبر مساهمة في الحرب على الحسين جنود عمر بن سعد (الحمر الديلم).

١٧. في تصوري المتواضع ان عمل الحسين واضح ومعروف ويمكن التأسِّي به وليس الغازا ومدلهمات.

١٨. ان اكثر الذين اضافوا على اصل النصوص الحسينية هو ابن اعثم ثم اخذها الخوارزمي في مقتله ثم زاد في التحريف بن نما.

١٩. في تصوري يمكن استقاء قانون الثورة من خطب الحسين.

٢٠. قوله عن سبب اصطحاب عياله من أن (شاء الله ان يراهن سبايا)لا أصل له.

٢١. تخلّف محمد بن الحنفية ومنع ابنيه من اللحاق بالحسين

عليه السلام جريمة يحاسبه عليها التاريخ.

٢٢.لم تخرج العقيلة زينب الى ساحة المعركة إلّا مرّة واحدة، وضربُها راسها الشريف المحمل وشق جيبها ونشر شعر رأسها خرافة بل إساءة الى هذه المرأة الصابرة الصادقة.

٢٣. اكذب رواية في الطبري كون الحسين خيّرهم، اي خيّر ابن سعد وجنوده بين ثلاثة خيارات، الرجوع إلى من حيث أتى، ان يضع يده بيد يزيد بن معاوية، أن يتَّجه إلى احد ثغور المسلمين، ورحم الله عقبة بن سمعان الذي كذّب هذا الخبر عن عيان.

٢٤. عرس القاسم خرافة.

٢٥. حرق الخيم تحتاج إلى تحقيق اكثر.

٢٦. استجداء الامام الحسين الماء خرافة.

٢٧. قصة الاسد لا اساس لها من الصحة.

٢٨.خبر الفرزدق ضعيف فإن ابنه هو الراوية وابنه «لبطة» لم يكن موثوقا.

٢٩. خطاب الحسين عليه السلام منذ خروجه حتى وصوله إجبارا إلى كربلاء كان متنوعا، وكان هناك تناسب بين مضمون الخطاب والظروف التي صاحبت الخطاب، ولكن بدى خطابه حزينا مكسورا ولم يخرج على هذا النكهة منذ ان وصله خبر استشهاد مسلم بن عقيل رحمه الله.

٣٠. الرواية التي يوردها الشيخ المفيد ـ للاسف الشديد ـ من ان مسلم بن عقيل طلب من الإمام الحسين اعفاءه من المهمة بسبب التيه والعطش، حيث رد عليه الحسين من أن هذا النكوص سببه الجبن

والخوف... هذه الرواية ليست صحيحة ولكم ان تراجعوا صحيح المقتل لري شهري حتى تتأكدوا من ذلك.

٣١. خطبة فاطمة الصغرى وزينب والسجاد عليهم السلام في الكوفة بعد العودة المزعومة الى الكوفة من الشام ضعيفة السند جدا.

٣٢.شخصيا ارى رواية عمار الدهني عن الامام الباقر عليه السلام في مقتل الحسين سلام الله عليه ادعى للقبول من غيرها، وفيما تعارضت هذه الرواية مع رواية ابي مخنف ارجّحها.

٣٣. خطاب الحسين عليه السلام لم يفصل بين الظاهرة وفارسها، ففيما يشن حربا خطابيا على ظاهرة الاستئثار بالفيء، وتحريف الحلال نجده في الوقت نفسه يشن حربا خطابيا قويا على يزيد بن معاوية، مشخّصا عيوبه وخطورته على الاسلام والمسلمين.

٣٤. حديث (الإيمان قيد الفتك) الذي تعلل به مسلم بن عقيل رحمه الله بعدم الاقدام على قتل عبيد الله بن زياد في بيت هانيء بن عروة لا قيمة له، فقد ضعّفه العلماء واستبعد أن مسلم بن عقيل رحمه الله استشهد به.

٣٥. عدد جيش ابن سعد غير معلوم بالدقة ولكن القدر المتيقن انهم (٤٠٠٠) شخصا.

٣٦. جيش ابن سعد كان خليطاً من العرب والديلم.

٣٧.ما انفرد به ابن طاووس وابن نما لا قيمة تاريخية له.

٣٨. من الاكاذيب المشهورة أن المتوكل العباسي استمر يحرث قبر الشهيد سلام الله عليه لمدة عشرين سنة، فيما أن مدة خلافة هذا الخليفة الجائر منذ أن بويع (٢٣٢ / ٨٤٧) إلى وفاته الشنيعة سنة

(٢٤٧ / ٨٦١) وبالتالي تكون مدة خلافته المشأومة (١٥) عاما !

٣٩. من الغرائب حقا ان يهمل المقتل الحسيني التقليدي من على المنابر دور الاصحاب، بل أن دور الآل يغطي على دور الاصحاب، وفي هذا غبن لهؤلاء الابطال.

٤٠. تعليل بكاء العراقيين على مصاب الحسين عليه السلام من أنه إمتداد لبكائهم على تموز مجرد راي بارد، لا يرقى الى قوة من التعليل والتفسير.

٤١. القول من أن بكاء الشيعي على الحسين عليه السلام قد يكون في بعض الاحيان بسبب هموم شخصية، كأن يكون فقدَ عزيزا عليه، أو أصيب بنازلة مفجعة... ربما يحمل بعض الصحة ولكن لا يصح علّة منحصرة.

٤٢. منشأ العزاء الحسيني عراقي بحت، ثم انتقل إلى ايران.

٤٣.من المقتربات أو النتائج التي يمكن استخلاصها من تاريخ العزاء الكريم إنه يشتد ويتسع بعد كل حالة منع أو محاربة، أتكلم بشكل عام بطبيعة الحال وليس على نحو المطلق.

٤٤. هذا العزاء أيضا ياخذ مديات واسعة، تتسع مساحته فيما كانت السلطة لحاكمة ترعاه او تتسامح معه أو تجامله لاي سبب من الاسباب ايضا،الكلام بشكل عام وليس على نحو مطلق.

٤٥. أروع ترنيمة قرأتها في حياتي عن الحسين عليه السلام ما جادت به روح الشيخ الجليل جعفر النقدي حيث قال :ـ

(الإسلام محمّدي الوجود حسيني البقاء).

٤٦. كثيرة هي المخاطر التي تهدد العزاء الحسيني، هيبة العزاء،

تلك الفكرة التي تقول ان :ـ

(الشعائر الحسينية تخضع للعرف، وليس للشرع مدخلية في تقييد ماهيتها).

فهل حقا ان اي شعيرة حسينية هي مفردة صالحة للدخول تحت عنوان الشعائر ؟.

٤٧.تعددت الآراء في الهدف من خروج الحسين عليه السلام، فهناك من يرى :ـ

- إن الحسين عليه السلام خرج لاستلام الحكم.
- إن الحسين عليه السلام خرج لطلب الشهادة صرفا.
- إن الحسين عليه السلام خرج ليكون قربان توبة لشيعته كما هو عيسى عليه الصلاة والسلام.
- إن الحسين خرج ليستشهد فيهز المجتمع المسلم من رقدته التي طرأت على وعيه بعد صلح الحسن عليه السلام.
- إن الحسين خرج ليسجِّل لنا درسا نعتبره ونسير عليه ألا وهو درس الكفاح والجهاد ضد الطغاة.
- إن الحسين عليه السلام خرج لإحياء دين جدّه من الإندثار أو بداية الاندثار على يد الطغمة الاموية.
- إن الحسين عليه السلام خرج ليعلن لنا إن الخروج على الخليفة الظالم ليس بدعا في الاسلام.

ولكل رأي دليله الذي ينتصر به، ولا مشاحة بتعدد الاراء مادام الراي لا يسيء لسيد الشهداء، ولا لعمله الكريم، ولا يستدعي التكفير والإبعاد من الملّة.

وفي هذا السياق : ـ

٤٨. قلت واقول ان العقيدة مهما كانت صادقة ـ والتشيَّع الصورة النهائية للصدقية العقدية ـ فيما مورس باسمها اعمالا غير منطقية ومخالفة للذوق الفطري السليم تنعكس على على الحضور الموضوعي للعقيدة، والشعائر الحسينية يعتبرها العالم جزء لا يتجزا من التشيع فتنعكس صورتها وهويتها وماهيتها على التشيع زينا أو شينا.

٤٩. من الواضح جدا ان طقوس عاشوراء الجميلة... الحزن الوقور... البكاء الحار الوقور... حزن الإئمة الاطهار... بكاؤهم الساخن الشديد... للاسف الشديد بدا ينحدر إلى مستويات غير لائقة من الإداء... مشاهد لم نألفها في سيرتهم، وصور تعافها النفس السوية، لم ينزل بها شرع، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٥٠. إن من أبرز الواجبات على الامة الاسلامية والشيعية على وجه الخصوص في هذه الايام مقاومة الإنحراف الذي راح يطرا خطوة بعد خطوة على الشعائر الحسينية، وإن ذلك أوجب العمل والجهاد من أجل ما يسمونه بالدولة الإسلامية.

٥١. أعداء الإمام الشهيد : ـ

قال الإمام موسى الصدر رحمه الله أعداء الحسين ثلاث أنواع : ـ

٥٢ ـ ١. النوع الاول اولئك الذين قتلوه، وكانوا طغاة.

٥٣ ـــ ٢ النوع الثاني اولئك الذين حاولوا وعملوا على محو ذكراه، مثل الرجال الذين حرثوا الارض، وعطّوا المكان حيث كان مدفونا، العثمانيون الذين منعوا إحياء أي ذكرى له.

٥٤ ـــ ٣. النوع الثالث من الاعداء هم اولئك الذين أرادوا تحجير مثال الحسين فكريا، حصر معنى حياته واستشاهده بالدموع والندب، النوع الثالث من الاعداء هم الاخطر، لأنهم ينذرون بتدمير الجذور الحية لذكرى الحسين عليه السلام.

٥٥. لا اصل تأريخي لزيارة الاربعين كما ثبت بالدليل، قال بذلك كثيرمن العلماء الابرار، ولكن تحوّلت فيما بعد إلى « شعيرة عالمية « لها ثقلفها في ميزان القضية الحسينية، بل تحوّلت إلى كرنفال عالمي كوني تاريخي رائع من حيث المبدا، ولكن للاسف الشديد ليس هناك تخطيط من علية القوم للاستفادة من هذه « الشعيرة « المهيبة، بل في حصيلتها النهائية اشبه بالظاهرة الصوتية، فمجرّد أن ينتهي زمنها تنتهي، ويطويها الزمن الآتي، وربما يبقى أثرها على الالسن أياما معدودات ثم تندثر حتى يأتي زمنها اللاحق.

الجولة الثانية
العزاء الحسيني في القرون الثلاثة الأخيرة

ملاحظة :مستقى من مصادر متعددة.

العزاء الحسيني تاريخ، ولست معنيا بتفصيل هذا التاريخ حيث يدّعي بعضهم أنه يمتد إلى زمن البنوة، وسواء كان ذلك صحيحا أو غير صحيح فإن الثابت إن الائمة عليهم السلام كانوا يقيمون مأتما خاصا بهم وذويهم وربما بعض الاصحاب والموالين، وكان المأتم بسيطا، ربقما يقتصر إلى رواية الحادثة المفجعة حيث يصاحب ذلك بكاء وحزن وتفجّع بشكل وآخر.

في القرون الثلاثة الاخيرة تطور المأتم الحسيني، اريد أن أشخص بعض نقاط هذا التطور، مُسدلا الستار على بعض الشعائر أو ما يسمّى شعائر وهي لا تمت لذلك بصلة، كما هو التطبير واللطم والشديد والزنجيل وغير ذلك من مظاهر بطبيعتها لا تمت بصلة إلى العاطفة الشفافة والحزن الوقور وما يلحق بمثل هذا.

من أهم التطورات اللّاحقة في صدد العزاء الحسيني الشريف في القرون الثلاثة المتأخرة ما يلي:

١- زيارة الأربعين على شكل «أفواج» بشريّة إلى كربلاء المشرّفة، تحت عنوان انصار الحسين، ويقال ان مردّها يرجع إلى ما يقارب الـ «٢٠٠» سنة الماضية ومبدأها ـــ كما يقولون ـ زيارة جابر الانصاري (ره) للقبر المطهر بعد أربعين يوماً من استشهاد المظلوم.

٢- عزاء «طويريج» العظيم الذي يؤمّ به الشيعة كربلاء في اليوم الثالث من استشهاد المظلوم وذلك من قرية الهندية «طويريج» التي تقع على بعد عشرة أميال من شرق كربلاء، ويُعد هذا العزاء اكبر طوفان شيعي عزائي، إذ تشترك فيه جماهير الشيعة من كل مكان. ومن الجدير بالذكر ان تاريخ هذا الموكب الرائع يعود إلى قرابة ٣٠٠ عام مضت وسوف يأتي فيه حديث خاص.

٣- وظهر الشبيه بداية الامر في القرن العاشر الهجري، وكان بسيطاً للغاية ثم تطوّر إلى ظهور الهوادج والسبايا، واخيراً إتخذ طابع المسرحيّة التي تصوّر أكثر أشخاص المعركة وأبعادها، ولقد لقي الشبيه تعاطفاً جماهيريا،ًوزاد من تأثير المأساة في الضمير الشيعي.

٤- مواكب الطلبة، وهي من أروع مشاهد العزاء الشيعي في العاشر من محرّم الحرام، حشد كبير من طلبة الجامعات والمثقفين في صفوف منتظمة مرتَّبة، ترتل المراثي الدينيّة في مأساة الحسين (ع)، وقضيّة واسباب نهضته المباركة، ومِمَّا يذكر ان المرجعية الدينية في النجف الاشرف تجاوبت مع الفكرة ودعمتها بقوة.

ومع مرور الأيام تفاعلت قضية الامام الشهيد مع ضمير الشيعة والمحبين والموالين، ومن البديهي ان ذلك بدوره يؤثر في العزاء الحسيني، ومن هنا تلاحقت عليه التطورات العميقة فقد بدأ العزاء الحسيني على شكل اجتماع بسيط، كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله هو «القاريء «، ويحيط به قليل من الاصحاب...لكن عبر مئات السنين أصبح (العزاء) حقيقة كبيرة خطيرة، ذات أبعاد

متغلغلة في أعماق الأمة الاسلاميّة وعلى الأخص جماهير أهل البيت.

إن نظرة سريعة في مظاهر العزاء الحسيني في أيامنا هذه تكشف عن أكثر من شكلٍ وشكل لها، ومن أهمّها :

اولاً – المجالس الحسينية وتعقد في البيوت والمساجد والاسواق والأزقة والحسينيات... الخ، وعادة ما تكون هذه المجالس منبراً للتعريف بمصاب الحسين (ع) وقضيته المأساوية.

ثانياً – المسيرات الحسينية (المواكب) وهي عبارة عن «جوقات» من الحسينيين – عشاق الحسين (ع) – تنتقل من مكان لآخر تردّد الشعارات الدينية الحسينية بحزن وأسى.

ثالثاً – الشبيه الحسيني.. حيث يقوم المؤمنون والمحبون بتصوير المأساة على شكل تمثيليات ومسرحيات.

رابعاً – الاحتفالات الحسينة.. جمع من الحسينيين والمحبين يتبارون في إلقاء القصائد والكلمات والموضوعات الاسلامية يشرحون بما عمل الأمام وثورته واسبابها وآثارها.

خامساً – المظاهرات الحسينية... وهذه أكثر ما تكون في «الاربعينيّة،» حيث يجتمع الاف مؤلَّفة من الشيعة في كربلاء بعد ان يفدوا عليها على شكل مظاهرات ومسيرات محتشدة، وهي تردد مختلف الاناشيد والشعارات الدينية والحسينية ونستطيع القول ان اربعينيّة الحسين (ع) هي الحج الاسلامي الثاني من حيث الكثرة العددية وانصهار الفوارق الاجتماعية لغاية واحدة وهدف واحد.

سادساً – الزيارات الحسينية... حيث يفد المؤمنون على حضره الامام الشهيد (ع) في كربلاء المشرفة وغيرها من المراقد المقدسة

ويتلون هناك زيارة عاشوراء الخاصّة أو غيرها من الزيارات بحسب المناسبات.

سابعاً – الحداد الحسيني العام... والمقصود به عندما يعلن الشيعة تعطيل الاسواق والمدارس وكل المعاملات الدنيوية ويلبسون السواد، وعادة ما يكون ذلك في العاشر من مُحرّم الحرام والاربعينية.

في الواقع ان كلاً من هذه التقسيمات وان كانت شعيرة قائمة بذاتها، إلا أنها جميعاً متداخلة ومن العسير إيجاد حدود فاصلة بين وحدةٍ وأخرى، فهي متبادلة في عناصرها ومراسيمها، ومتحدة في غاياتها واهدافها... وكثيراً ما تجتمع أكثر من فقرة في ظرف واحد، والامر الآخر في هذا الخصوص، ان هذه الاشكال من المراسم قابلة للتطور والتغير، وقابلة للتعدد والتكثير... وهي جميعاً تلتحم وتلتقي في إطار المجلس الحسيني (العزاء)، ولذلك فانّ طابعها هو الحُزن وما يرافق الحزن من معالم وآثار وظواهر.

قضية الشعائر الحسينية و معاداتها من قبل اعداء اهل البيت "عليهم السلام" لها تاريخ طويل، ونستطيع ان نقول ان من يوم مقتل الامام الحسين "عليه السلام" في عام ٦١ للهجرة، والى يومنا هذا، مازالت الشعائر الحسينية محاربة من قبل اعداء الامام الحسين "عليه السلام".

ملاحظة تفيد لما سوف يأتي : ـ

شخصيا أفرِّق إنْ بالكاد بين العزاء الحسيني والمجلس الحسيني، رغم القرابة الشديدة بين المشهدين، وسوف يأتي كلام عن ذلك.

الجولة الثالثة
جماهير الحسين عليه السلام

١

العمل الذي قام به الحسين (ع) انعكس على الإسلام والأمة الاسلامية بآثارٍ إيجابيَّة عظيمة.. كان من أبرزها:

أولاً – ايقاظ الأمّة من سباتها الذي استسلمت له على أثر مؤامرة أموية محكمة، ومن أهم ما لوحظ في هذا الصدد أن الحسين صنع في ضمير الأمّة فكرة الثورة ومشروعيتها على الحاكم الظالم وان كان عنوانه «خليفة».

ثانياً – أشعلت فتيل الثورات المسلحة، ومما يذكر أن ثورة التوابين وثورة أهل المدينة المنورة وثورة المختار الثقفي وثورة مطرف بن المغيرة عام (٧٧ هـ) وثورة ابن الأشعث عام (٨١ هـ) وثورة زيد بن علي رضوان الله عليه عام (١٢١ هـ) في الكوفة... إنَّ كل هذه الثورات وغيرها كانت تستمِدُ وحيها ولهيبها من استشهاد أبي الاحرار سلام الله عليه.

ثالثاً – سلّطت الأضواء الكاشفة على حقيقة الأمويين والأسباب التي مَهَّدت لهم واماطت اللثام عن جاهليتهم وعدائهم المتأصّل للإسلام، ونبيه الكريم صلى الله عليه وآله، وفي الوقت ذاته وجَّهت الأنظار نحو أهل البيت عليهم السلام وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة.

رابعاً – وفي اعتقادي أن أروع نتيجة تمخَّضت عنها ثورة سيّدنا الحسين (ع) أو نهضته هو إيجاد وبلورة «جماهير» من لونٍ خاص

وذات فلسفة خاصَّة وطابع مُتفرِّد... هذه الجماهير عنوانها العام هُو «الجماهير الحسينية»... وحديثنا الآتي يدور ويتمركز حول هذه الجماهير.

أنماط الجماهِير الحُسَينية

١- الجماهير التي برزت أو ظهرت على شكل «رد فعل» سريع لهول الفاجعة خاصّة بعد ما رأى المسلمون حال الهاشميات وما جرى عليهنّ من مصائب... لقد كانت هذه الجماهير شعلة من العواطف الهائجة، مبعثها وسببها «هول المصاب» في الدرجة الأولى، ولذلك اقترنت بموجة عارمة من الندم والحسرة والبكاء... ومن المعلوم ان هذه الظاهرة الجماهيريّة المفاجئة كان مقرُّها الكوفة، وذلك بعد تسيير الرؤوس الطاهرة منها لعرضها على الطاغية يزيد في الشام.

٢- الجماهير التي صنعها العمل الحسيني على مرّ الأيام حيث تفاعلت مع المأساة الفادحة واندكّت بشخصيَّة الحسين (ع) باعتباره مظلوماً وابن بنت رسول الله، وارتبطت به بدافع الشعور بالإثم والندم، وهذا اللون من الجماهير الحسينيَّة كان أكثر ديمومة من سابقه، كما أن قسماً كبيراً من فصائله وفرقه ذو رؤىً عقائدية، ويمكن القول أن الزيدية في هذا المضمار مثال واضح عليه.

أن أكثر الثورات التي حصلت بُعيد الاستشهاد كانت لحمتها ومادتها البشرية هذا الطابع من الجماهير... لقد انطلق بعضها من الكوفة، وكان شعارُ قسم منها «بالثارات الحسين». وصار «خلعُ الظالمين» هدفاً رئيساُ مشتركاً لها، وتولَّى أحدهم تصفية قتلة أهل

البيت عليهم السلام، وكل هذه المعالم تعتبر مؤشرات قويَّة على العلاقة الوثيقة بين جماهير هذه الثورات والعمل الحسيني الجبار.

ومن أوضح النماذج المعروفة في مثل هذا المضمار جماهير «ثورة التوابين» والمدينة وحتى جماهير ثورة ابن الاشعث التي كان الحبرُ الثائر «سعيد بن جبير» عنصراً مخططِّاً فيها.

وليس سراً أن العمل الحسيني إستمر على صُنع «جماهير» كهذه، ولم يكن شعار «الرضا من آل محمَّد» الذي كان «لافتة» العشرات من الثورات الشيعية والذي اجتمع في إطاره الالاف من المسلمين في انتفاضات عارمة زمن بني أمية والعباس إلاَّ تعبيراً آخر عن ديمومة العمل الحسيني على صنع هذا اللون من الجماهير... الجماهير الثائرة التي لا ترضى القعود عن مواجهة الطغاة.

٣- الجماهير التي تنطلق من رؤية عقدية متكاملة، وضع بذرتها الأولى رسول الله صلى عليه وآله... أعنى جماهير طائفة الامامية الأثنى عشريَّة.

والعزاء الحسيني منذُ نشأته وحتى هذه الأيام يرتبط ارتباطاً وثيقاً واساسيَّاً بهذه الجماعة المرحومة، وأكثر التطورات التي لحقت هذا العزاء العظيم وما آل اليه في صُورهِ (الإيجابية) الأخيرة يتصل بعقيدة وجهاد ومثابرة هذه العصابة المؤمنة، واهم مجموعة بشريَّة يهمها هذا العزاء انما هم الشيعة الأماميَّة الاثنا عشريَّة، وإذا وجدت ثلة تفكر بمستقبل العزاء الحسيني وامكانيَّة تطويره ليكون أداة فعَّالة لنشر الإسلام ونصرة الحق، ومدافعة الظلم انما هم الاماميَّة الإثنا عشريَّة.. ونحن نلاحظ ان هناك توافقاً وتطابقاً بين المراحل التي

قطعتها هذه الجماعة والمراحل التي قطعها العزاء الحسيني، وان كلا الجانبين يؤثر بعضهما في الآخر قوَّة وضعفا،اً سِعة وَضيقا، حركة وسكونا،اًومن البديهي أن ذلك يعود لأسباب موضوعيَّة من أهمها عقيدة الامامية الاثنا عشرية بالحسين (ع) ضمن إيمانها الراسخ المتكامل بكل الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

٤- الجماهير التي تنطلق في التعامل مع الحسين (ع) والقضية الحسينية من تصورات أخلاقية رفيعة وُمثل روحية شامخة كالشجاعة والإباء والإصرار على الحق، ولقد طُرحت العديد من الدراسات والبحوث من هذا المنظور المنهجي الذي مهما قيل فيه وعنه، يبقى يعاني من نقصٍ شديد الا وهوَ ما يمكن تسميته بالتنظير الأيديولوجي الذي يشكل أساس القضية الحسينيَّة المقدَّسة.

وجماهير هذا النوع خليط من مختلف الأديان والمذاهب ومن مختلف الملل النحل، فقد تجدُ فيها المسلم الملتزم، وقد تجد العلماني الذي ينكر على الدين أي صفة سياسية والنصراني الذي لا يستهين بدينه، بل وقد تجد فيها الكاف الملحد أيضاً.

ولا يضر أبداً التشجيع على هذا اللون من الجماهيرية لكن مع السعي الجاد والعمل المستمر على تأطيرها – جهد الإمكان – بالصورة العقدية الإسلامية التي تفسر النهضة الحسينية تفسيراً موضوعياً وأملنا لتحقيق هذا الهدف بهؤلاء الذين يحملون ايماناً بالإسلام راسخاً فاعلاً، ولهم صلة مبدئية بالدين الحنيف، حيث يوجد في المسلمين العديد والعديد من الذين يعلّلون حادثة الطف على أساس الصراع بين الأنانيّة والأريحيَّة وبين الأصالة والهجانة،

ولعلَّ هذا التفكير سائد في أوساط أخوتنا أهل السنَّة.

..... هذه اربع أنماط من الجماهير التي صنعها الحسين (ع) بدمه الطاهر، ومن العسير جداً وضع حدود رقمية صارمة بين هذه الأنماط،شأنها في ذلك شأن كل ظاهرة غير مادية، ولكن تبقى هذه التصورات ممكنة في حدودها المرنة.

ومما لا ريب فيه إن النمط الثالث يبرز من بين الأنماط الأربعة المذكورة كتعبير عن احد أهم الأهداف التي نشدها الحسين عليه السلام في عمله الرسالي العظيم.

والحصيلة هي أن المنتسبين الى الشيعة الأمامية الاثني عشرية يشكِّلون القاعدة الحقيقية للجماهير الحسينية، والسبب الرئيس في هذا التمثيل الحقيقي هو نظرتهم الواقعية للإمام الحسين (ع) وفكرتهم عن العزاء الحسيني، فهؤلاء لا يرون في الحسين (ع) ثائراً أو مظلوماً أو ابن بنت رسول الله أو أبيَّاً أو رَمزاً إسلاميَّاً فحسب.. ان كل هذه التصورات تأتي في المقام الثاني وبعد الايمان القاطع بأن الحسين إمام معصوم منصوب بأمرٍ من الله لقيادة الأمة الإسلامية، وان عمله سلام الله عليه جاء بهذا اللَّحاظ العقيدي الدقيق، وكل ما يُقال عن إبائه الاشم ومظلوميَّته الفادحة واريحيته الرائعة، لا تعدو أن تكون فيما ثانويَّة بالقياس الى منزلة إمامته القياديَّة المعصومة، وان نهضته كانت ولا تزال سبباً في بقاء الإسلام واستمرار طبق شعار «الإسلام مُحمدي الوجود حسيني البقاء»، وقد تكون الإشارة إلى هذا المعنى في الحديث النبوي المشهور «حسين مني وأنا من حسين».

أمَّا الجماهير الحسينة التي تشكلَّت من خلال بواعث وأسباب أخرى غير مبدئية كالتي تتبناها الشيعة الاماميَّة كثيراً ما تكون بدافع الاعجاب والحب والألم... هذا اللون من الجماهير تأتي أهميته بالدرجة الثانية، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الاعتقاد هو الأساس في التقييم والتقسيم والتصنيف.

وإذن... هناك جماهير حسينية ترتبط بـ «جوهر القضيَّة «... وهي الجماهير الحسينية «الخاصَّة»... وهناك جماهير حسينية ترتبط بـ «آفاق وعموميَّات القضيَّة» وهي الجماهير الحسينية «العامَّة».

والشيعة الأماميَة الاثنا عشريَّة هم الجماهير الحسينية «الخاصَّة» لانهم يرتَبطون بـ «جوهر القضية»، والآخرون «جماهير عامَّة» لأنها ترتبط «بآفاق وعموميات القضية»، ونحن نعرف ان هذه الآفاق وهذه العموميات كثيرة وواسعة في نطاق الحسين (ع) وعمله وتأريخه.

الجماهير الحسينيّة بالمعنى الأخص

وكما ان هناك جماهيرا حسينية عامَة، وجماهير احسينية خاصة – الشيعة الأمامية الاثنا عشرية – فان هناك جماهير احسينية بالمعنى الأخص، وهي فئة من الشيعة الامامية الاثني عشرية تعتبر العزاء الحسيني قضيتها الأولى أو إحدى قضاياها المهمَة، فهي تساهم في مراسيمه، وتحضر في ساحاته وعرصاته، وتترقب أيام قدومه لتدلوا بدلوها الخاص المتميز وتعمل على احيائه وتجتهد في نشره وتوسيعه، وتبذل من مالها ووقتها وطاقتها من أجل استمرار العزاء الحسيني وقد تُعرِّض تجارتها للكساد وحياتها للفقدان واهليها

للسجن والذبح والقتل بهدف الحفاظ على العزاء الحسيني.

هذا العنوان الرائع ما هو مصداقه على الصعيد الواقعي.. وما هي مُفرداته المحسوسة على المستوى العملي؟.

ان أيام عاشوراء هي التي تجيبُ عن هذا السؤال... انَّهم هؤلاء الذين يجتمعون هنا وهناك بين باكٍ بحرارة على مُصاب أبي عبد الله عليه السلام وبين قارئ ينشدُ المأساة بصوته الحزين وبين لابس للسواد يعلو مُحيَّاه الحزن العميق وبين تالٍ لزيارة الامام الشهيد (ع) ومعه ثلَّة من المستمعين...

إنَّهم «جموعٌ حسينية» مخلصة واعية لقضية الحسين، تجدها في المساجد والبيوت... في الشوارع والأزقة... في المدارس والجامعات... في الأسواق والمحلاّت... كلها منصهرة وذائبة في قضية واحدة ومسالة واحدة...

هي الحسين (ع).

وعندما يقال عن انسانٍ ما بأنه «حسيني» يتبادر إلى الذهن مثل هذه النماذج المتفانية في حُبِّ الإمام (ع) وينصرف الفكر إلى هذه النوعيات الذائبة في شخصية سيد الشهداء (ع) ونياحها ولطمها ولبسها السواد وقراءتها لمأساته تعبيرات حيَّة عن هذه «العلاقة الخاصة».. وأنىّ لأكبر قوة على الأرض ان تقتلع هذا الحب المقدس والايمان الثابت، وان تغيِّر من هذه الطرائق والأساليب في التعبير، بل كل محاولة من هذا القبيل تزيده تأصّلاً وثباتاً وقوة... لقد أصبحت المسألة «طقوسية» كما يقول علماء الاجتماع، واستقرت في أعماق

الوجدان الشيعي، وتفاعلت معه حتى أصبحا شيئاً واحدا، فالوجدان الشيعي هو قضية الحسين (ع) والعكس هو الصحيح.

شهادة التاريخ

التأريخ يشهد بأن أكبر قوة على الأرض لم تستطع القضاء على هذه العلاقة الوطيدة والراسخة بين الحسين عليه السلام وبين عزائه أو مجلسه المبارك، ولعلَّ من الأدلة المحسوسة والشواهد الشاخصة في هذا الصدد ان العزاء الحسيني بدأ بسيطاً للغاية بينما تجده اليوم ظاهرة اجتماعية طقوسية مليونية تجتذب الانتباه وتشد الأنظار إليها من كل صوب وحدب حتى صارت مادَّة دراسية لكل المعنيين بشؤون الحياة الإسلامية مسلمين كانوا أو مستشرقين.

وقد حصل هذا التطور الكبير والسريع في العزاء الحسيني رغم العوائق التي وُضعت في سبيله، ورغم المحاولات التي بُذلت لإقصائه وتحجيمه، ونحنُ هنا نذكر جملة سريعة من العينات المعروفة في هذا المضمار.

أولاً – بعد استشهاد «زيد بن علي» رحمه الله عام (١٢١ هـ) في الكوفة شدَّد «هشام بن عبد الملك» وجلاوزته من الحراسة على قبر الحسين سلام الله عليه بقصد المنع من زيارته وإقامة العزاء على مُصابه، وقد استشهد الكثير من الشيعة لأنه ضُبط باكياً مُعزيَاً بالقرب من المزار على يد هذه العصابة المجرمة، وقد أخبر الشيعة إمامهم الصادق (ع) بمعاناتهم وخوفهم من المراقبة الأمويَّة التي فرضها أولاد «سليمان بن عبد الملك» على الحضرة الحسينية».

ثانياً – عام (٢٣٧ هـ) أدرك الخليفة العباسي «المتوكل» ان زيارة الحسين عليه السلام أصبحت جماهيرية وأنها قد تثير له ولحكمه المشاكل الكثيرة في المستقبل، ولذا قرَّر تهديم القبر الشريف. فأرسل أزلامه حيث هدَّدوا من مَغبَّة الزيارة وإقامة العزاء فكان جواب المحبين «لو قُتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته»، ولذلك أقلع التوكل عن نيَّته السوداء هذه.

ثالثاً – في عام (٢٤٧ هـ) عاود «المتوكل» لعنه الله هدم القبر الشريف، وذلك بعد أن علم أن أهل البيت (ع) وشيعتهم واصلوا الزيارة، وأنَّ التهديد لم يفُتّ عضدهم ولم يقلّل من حُبَّهم للحسين سلام الله عليه، وان أهل السواد والكوفة يتقاطرون بجموع غفيرة على المشهد المعظم، فبعث الطاغية بجيش كبير لنبش القبر وحرثه وزرعه، وقد صاحَ مناديه «ان برئت الذمَّة ممَّن زار قبر الحسين (ع)»، ومن ثُمَّ راح يعاقب كل زائر تضبطه العيون العباسيَّة عند القبر المطهر...».

رابعاً – في عام (٤٠١ هـ) حارب «القادر بالله العباسي» العزاء الحسيني والمجلس الحسيني في عاشوراء وأصدر أوامره الطاغوتيَة بمنعها».

خامساً – في أواخر منتصف القرن الخامس الهجري ضيَّق العباسيون كثيراً على العزاء الحسيني، ومُنع الشيعة من إقامة المآتم والنوائح على أبي عبد الله (ع). وقد قاوم الشيعة في بغداد / الكرخ السلطة وأصرّوا على أحياء الذكرى وإنَّ ثمن هذا الإصرار استشهاد الكثير الكثير من محبي وموالي أهل البيت عليهم السلام.

سادساً – عام (٦٤١ هـ)، (١٢٥٩ م) أصدر المستعصم أوامره الطاغوتية بمنع اهل الكوفة من النياحة والانشاد وقراءة المقتل على الشهيد المظلوم.

سابعاً – في العصور التالية – قبل الحرب العالمية الأولى – لاحق كثير من الخلفاء العثمانيين المآتم الحسينيَّة في العراق، وأحياناً أصدروا أوامرهم بمنع إقامتها فيما حاولوا تحجيمها وتقييدها مرَّات عديدة.

ثامناً – عام (١٩٣٦ م) منعت حكومة ياسين الهاشمي إقامة العزاء الحسيني ببعض مظاهره وأبعاده (التطبير، الشبيه).

تاسعاً – وأخيرا وليس آخراً جاء الحزب المنحوس / حزب البعث إلى الحكم في العراق سنة ١٩٦٨ وبعد مرور ثلاث سنوات على استلائه السلطة صَمَّمَ على محو العزاء الحسيني تماماً، فكان ما كان سنة ١٩٧٧ حيث انتفض الجمهور الحسيني على السلطة الباغية بعد أن قرَّر مواصلة الزحف من النجف إلى كربلاء في أربعين الشهيد المظلوم، وحصل في الأثناء صِدامً دموي بين الأنصار العُزَّل وازلام البعث، تبع ذلك أعتقالات بالالاف، واعدم في الاثناء أكثر من أربعين حسينياً، كما حكم كثيرون بالمؤبد ؟

.... رغم كل هذه المحاولات وهي نزر يسير وأمثلة سريعة – بقي العزاء الحسيني صامداً... بل يتصاعد مَدُّه سنةً بعد أخرى حتى صار ظاهرة «طقوسيَّة» تهدِّدُ الطواغيت وتضع عروشهم على كف عفريت.

وكل ذلك – كما قلنا – يؤكد «عُمق» الصلة بين الحسين عليه

السلام وبين جماهير عزائه ومجلسه سدَّد الله خطاها وحفظها من شرِّ الكفرة اللئام.

خصائص الجماهير الحسينيَّة

١- الخصيصة الأولى للجماهير الحسينية مساحتها البشرية الكبيرة... ذلك ان الأوساط التي تُعنى بالعزاء الحسيني عبارة عن أفواج بشرية مليونية هائلة... فيهم الأبيض والأسود... منهم العربي والأعجمي،... تضمُّ الغني والفقير... يشترك فيها العالم والجاهل... والجميع ذائبون في إطارٍ واحد لا مزية لأحدهم على الآخر الا بمقدار انصهاره في القضية وعطائه لها... «فالعزاء الحسيني» من هذه الناحية أشبه بجموع الحجاج الكرام.

٢- العاطفة الجياشة تأتي بالدرجة الثانية من حيث بروزها وأهميتها في العزاء الحسيني فالكل في «عزاء»... هذا يبكي، وذاك ينشد، والآخر يهوي باللطم على صدره، ورابع يصيح يا حسين... ولذا نادراً ما نجدُ مبتسماً في هذا العزاء ولو على نحو خفيف.. ومن البديهي أن تكون العاطفة جانباً أو عنصراً مهماً في خصائص الجماهير الحسينية لأنَّ إحدى أسباب الارتباط الجماهيري بالحسين (ع) مظلوميته صلوات الله عليه وما تعرضت له الاسرة النبوية بعد ذلك من ذل وأسر وضرب وسبي في العواصم الإسلامية وهتك لحرم رسول الله (ص) وغير ذلك من الأهوال والمصائب...

٣- «حسينيتها»... وهذا ما يُفهم من طبيعة العنوان أيضاً، فهذه الجماهير نياحها واناشيدها ولطمها وشعاراتها بل حتى تحدِّيها

لقرارات المنع التي تصدر أحياناً من الطغاة، انما تتمركز وتتمحور حول شخص الحسين (ع) وقضية الحسين (ع) ولذلك تغطى كلمة «حسين» على كل مظهر من مظاهر العزاء الحسيني، وتجدها على كل لسان وفي كل نداء، ولذلك يُطلق على هذا الجمهور المليوني المحتشد عنوان «جماهير الحسين».

٤- ورغم عنصر التخطيط في تنظيم وهندسة بعض نشاطات العزاء الحسيني إلاّ انَّ جماهير هذا العزاء الخالد تندفع كالسيول الجارفة «بعفوية» وهذا كما يبدو يعود الى تفسير «روحي» صرف. فقد تغلغل الاعتقاد والحب والايمان بشخصية الحسين (ع) في ضمائر هذه الجماهير حتى إذا اطلَّت أيام عاشوراء تفجَّر هذا الاعتقاد العميق والحب الكبير وتدفق حمماً مشاعرية لاهبة، فتندفع الملايين للاشتراك بالعزاء، وكلها فناء وَوَله بالإمام الشهيد (ع) وهذه «العفوية» لا تقلل من أهمية العزاء، وليست هي «خصيصة» مرفوضة، بل هي علامة صدق وإخلاص وحرارة، وتؤكد ان القضية باتت جزءٌ لا يتجزّأ من وجدان الانسان الشيعي ووجوده المتميّز خصوصاً إذا علمنا أنه لا يوجد شيعي على وجه الأرض لا يعرف التفسير العقدي والتاريخي لمذبحة كربلاء المروّعة.

٥- وهي جماهير «هادفة» إمَّا طلباً للأجر والثواب أو لغرض تخليد القضية الحسينيَّة أو لتأكيد الولاء لأبي عبد الله سلام الله عليه أو لإعلان البراءة من أعداء أهل البيت (ع) أو.. أو.. أو..، وقد يتوهم البعض أنّ هذه الأهداف ضيِّقة محدودة، والواقع انها اهداف سامية كريمة فليس هناك أعظم من الأجر والثواب، والتبري والتوّلي هما من

فروع الدين العشرة والتي لا يكمل الإيمان الّا بها... وَربَّما نُصادف – في السياق – وبلحاظ ظروف تاريخية وموضوعيَّة أهدفاً آنيَّة تسعى إليها الجماهير الحسينية بإسهاب عن قضيَّة «الهدفية» في هذا الميدان.

٦- ثقافية... وهذا الأمر واضح جداً في «القراءة الحسينية» – مثلاً – عندما يتعرَّض «القارئ» الى قصَّة الحسين (ع) ونهضته وفلسفة ثورته، وعندما يتطرق الى مختلف المواضيع الأخلاقية وهموم الناس ومشاكلهم على ضوء الإسلام وبالمقارنة مع غيره بل ان صفة «الثقافية» تبدو بكل وضوح حتى في بعض شعارات اللّطم والجماعات المتظاهرة، ذلك ان اكثر هذه الشعارات تحمل شيئاً بل أشياء من المفاهيم الإسلامية الأخلاقية والفكرية، كالصبر والشجاعة والإباء والكرامة والخيانة والوفاء وغير ذلك، وتحثُّ هذه الشعارات الجماهير على استلهام المعاني الخيرة التي أفرزتها حركة أبي الاحرار (ع)... إستلهامها فكراً وسلوكاً، بحيث تطبع حياة الانسان في تعامله مع دينه ومع نفسه ومع مجتمعه، ونِعم ما قيل في المجالس الحسينية : «المجالس مدارس» أو «مجالسنا مدارسنا».

الجانب السياسي

للسياسة علاقة وثيقة بالجماهير الحسينية، ولعلَّ الكثير من الناس ينظر إليها من زاوية سياسية بحتة، سواء كان ذلك على صعيد المنشأ أو على صعيد الهدف، بل وحتى من ناحية الشعارات والهتافات والمسيرات.

وليس من شكٍ إنّ الشعائر الحسينية فيها «جنبة سياسيَّة» بل فيها «حياة سياسية « وذلك يرجع لأكثر من سبب... أهمها: -

اولاً – قضية الحسين (ع) بالذات تحتوي على «جنبّةٍ» سياسية، وذلك مهما قيل في بواعث الثورة، فسواء كان الباعث إقامة الدولة الإسلاميَّة أو إحداث «هزَّة» عنيفة في المجتمع السادر أو كشف القناع عن زيف الحكومة المتسلِّطة... مهما كان الباعث يبقى العنصر السياسي بارزاً في العمل الحسيني، ويكفي هُنا أحد شعارات الامام (ع) التي طرحها وهي استئثار الحاكم الجديد بالفيء وحقوق المسلمين.

ثانياً – مظلومية الشيعة على طول التأريخ والمرتبطة بمظلومية أهل البيت (ع) فإن هذه المظلومية كثيراً ما تنعكس داخل الجماهير الحسينية على شكل شعارات وممارسات، حيث تطغى على العزاء الحسيني أو تتخللَّه احتجاجاتٌ على سلوك الحكام المنحرف تصريحاً أو تلميحاً، وكل هذه الاحتجاجات أو القسم الاكبر منها يتوجَّه ضد الطغاة في ممارساتهم الظالمة لجماهير الشيعة والمستضعفين.

ثالثاً – يجد المسلمون في العزاء الحسيني غطاء وافياً للتعبير عن غضبهم على الحكومات المستبدَّة والعميلة ولذا كثيراً ما «تكون» شعارات المعزِّين سياسية صرفة، تسلط الأضواء على حقيقة العملاء، خاصَّة إذا اقترن مرور عاشوراء بحوادث ومواقف سياسية أو زامنَ ذكريات سياسية ذات شأن.

رابعاً – وكثيراً ما تقاوم الحكومات على منع الشعائر الحسينية الامر الذي يولّد ردُود فعل عنيفة لدى الجماهير الحسينية، وكثيراً

ما تتجسَّد ردود الفعل هذه بشعارات سياسية غاضبة تتردد أثناء إقامة العزاء الذي كثيراً ما يكون تحديا للسلطة ورغماً على أوامر المنع التي أصدرتها.

خامساً – الفهم السياسي لعمل الامام الحسين (ع) لدى العديد من المسلمين يؤثّر كثيراً على إضفاء الطابع السياسي على العزاء الحسيني بشكل وآخر.

.... هذه الأسباب وغيرها تفرض وجود علاقة بين العزاء الحسيني والسياسة حتى ذهب كثيرون الى أنَّ العزاء بحدّ ذاته قضية سياسية والدين محاولة تأطيرٍ له، وهذا رأي متطرف جداً كما يظهر لكل عارف بهذا العزاء.

على أن الشيء الذي نريد بيانه في هذه العجالة.. ان الجنبة السياسيَّة للعزاء الحسيني والجماهير الحسينية دخلت أطواراً جديدة تتصل بعمق الإسلام وفكرته عن الحكم ودولة العدل الالهيَّة... ولكن هذه النُقلة تعرضت في المراحل اللاحقة الى نكسة كبيرة ـ كما هي مشروع العزاء ذاته حيث سوف اتعرض لذلك مفصلا ـ

الجماهير الحسينية وآفاق المستقبل

المستقبل الذي نتحدَّث عنه بلحاظ الجماهير الحسينية ليست معنىً «عموميَّاً» أو إطاراً «مهلهلاً»، وانما هو شيء مُحدَّد وواضح الى حد ما.. فالمستقبل هنا هو مستقبل الإسلام في المنقطة وفي العالم، ومستقبل السيرة الإسلاميَّة، وكل إشارة في هذا الفصل سوف تكون على صلة وثيقة بهذه الآفاق المستقبليّة.

• مستجدات مؤثرة.

ما لا ريب فيه ان التاريخ الإسلامي المعاصر، شهدَ مُستجَّدات مذهلة على المستوى الفكري والسياسي والجهادي وهذه جرَّت وراءها آثاراً على عموم الحركة الإسلامية في العالم... ومن البديهي ان تترك انعكاساتٍ عميقةً على الجماهير الحسينيَّة لاتصال هذه الجماهير بالإسلام بصورة مباشرة وغير مباشرة... ومن أجل اكتشاف هذه الانعكاسات يحسُن بنا درج أهم هذه المستجَّدات بما يلي:

١- الثورة الاسلاميَّة في ايران.

٢- بروز القيادة الاسلاميَّة [ولاية الفقيه] المتجسِّدة الآن بالسِّيد الامام الخميني حفظه الله ورعاه.

٣- تبلور الفكر الإسلامي واستكمال أهم أبعاده وتفهم الجماهير في العالم الإسلامي لهذا الفكر العظيم ولو بمستويات متفاوتة.

٤- تبلور العمل الحزبي الإسلامي.

٥- تقدم ملموس في التفاعل مع قضيَّة الامام المهدي سلام الله عليه.

٦- تساقط وتهافت المقولات الظالمة التي أشاعها بحق الإماميَّة الاثني عشريَّة مجموعة من النواصب والجهلة وثلَّة من وعَّاظ السلاطين.

٧- التقارب الأخذ بالتزايد والحمدُ لله بين مختلف المسلمين على تباين مذاهبهم.

٨- شخوص وحدة الأهداف أو أكثرها بين كل أبناء الأُمة الإسلامية.

٩- تفهم علمي مُنصف لنهضة الامام الحسين عليه السلام من

قبل الكثير من الشيعة والسنَّة، وان كان على تفاوت بالدرجة والسع والعمق.

١٠- تصاعد مفهوم الجهاد ضد الظلم والطغيان لدى الشباب المسلم في كل انحاء العالم خصوصاً في إيران والعراق.

١١- تبلور وتأصّل مفهوم الثورة الإسلامية والشعبيَّة.

أثر المستجدات على الجماهير الحسينية.

نظرة سريعة إلى العزاء الحسيني والجماهير الحسينيَّة بلحاظ كل المستجَّدات الآنفة، نكتشف أنَّ تطورات هائلة طرأت عليهما، وهذه التطورات يمكن معرفتها بسهولة لأنها واضحة للعيان، ولا تحتاج إلى مزيد فكر، والا من منَّا لم يعاصر فكرة «مواكب الطلبة» حيثُ كانت بمثابة قفزة نوعيَّة ونقلة هائلة في تاريخ الجماهير الحسينيَّة سواء من حيث مادتُها البشرية او مضامين الشعارات او طريقة الأداء... ولا ينكر – الاَّ مكابر – أهميَّة هذهِ الخطوة العظيمة واكبر دليل على أهميتها البالغة موقف البعثيين القاسي والحاسم من هذه المواكب الواعية، ومن الشواهد التي تشير لذلك أن جريدة القبس الكويتية بعد أول موكب عزائي للطلبة كتبت عنواناً كبيراً ومثيراً «ماذا بعد مواكب الطلبة» ؟ مشيرة في الأثناء الى أنَّ هذه الظاهرة علامة أكيدة لوعيٍ خفي، ويخطيء من يظن أو يتصوَّر أنَّ «مواكب الطلبة» كانت بديلاً عن المظاهر العزائيَّة الأُخرى، بل هُوَ «قفزة» جديدة في مسيرتها، ولقد أتَّسع نطاق المشاركين في العزاء وأصبحت زحوف «المشاة» من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدَّسة ظاهرة جماهيريَّة حاشدة، حتى أنها أدخلت الرعب والخوف في روع حزب البعث

في عام ١٩٧٧ م، فأخذت تلك المجزرة الرهيبة في مُحبِّي وموالي سيد الشهداء الامام الحسين (ع)، ولقد تطوَّرت مضامين الشعارات التي تحملها جماهير العزاء. وقد لوحظ فيها التأكيد على الأبعاد الاسلاميَّة بآفاقها العقيديَّة والاقتصادية والاخلاقيَّة والسياسية وقد برزت الشعارات المناوئة بضرورة إقامة الحكم الإسلامي، وقد تبلورت هذه الصورة بكامل أبعادها وجوانبها في تاسوعاء وعاشوراء ايران عام (١٩٧٩ م).

وبعد ان اشرق نور الحق بولادة الدولة الإسلامية ـ في وقتها ـــ أصبح لهذه الجماهير دولة وقيادة... ومن هنا كانت حملات الحكومات الظالمة على هذه الجماهير في دول الخليج كالكويت والسعودية، وكذلك في بنغلادش وباكستان والهند وغيرها من الأقطار الاسلاميَّة الأخرى أو التي تتواجد فيها أقليَّة إسلاميَّة.

المستقبل القريب

من البديهي ان تلكم المستجدات والآثار التي تمخَّضت عنها على مستوى العزاء الحسيني وعلى مستوى الجماهير الحسينية ستتفاعل أكثر في ظل الصراع الجديد الذي أخذ يحكم العالم.. هذا الصراع الذي يعتمد على قطبين أو تتوزَّعه قوَّتان..

الأولى: عالم الاستضعاف المتمثل بالإسلام وجماهيره.

الثاني: عالم الاستكبار على مختلف الوانه واشكاله (الشرقي والغربي)، الذي يلوح في الأُفق هو المزيد من التحام الجماهير الحسينيَة بـ «خط الإسلام»، والمزيد من الالتصاق بالقيادة الإسلاميَّة،

وستشهد عمليات تنسيق مُنظمة في كل انحاء العالم الإسلامي، وجميع الدول والاقطار التي تعيش فيها أقليَّات من المسلمين، كما انها ستصل إلى أقاصي العالم كـ «فكرة» و»فعل»، واكبر دليل على ذلك ان يقوم العزاء الحسيني في عاشوراء في السنين الأخيرة الماضية في «زائير» – مثلاً –... انها بداية موفقة، ونحن سُقنا هذا الحدث كـ «مثال»، وإلاّ فأن العديد من دول العالم دخلها العزاء الحسيني في عاشوراء من السنين القليلة الماضية ومما لا ريب فيه أنَّ مقابل هذه التطورات الإيجابيَة ستزداد محاولات القمع الشرس من قبل الحكومات والطواغيت أزاء الجماهير الحسينيَّة، ولعلَّ ما حصل في الكويت والهند وباكستان وبنغلادش في العالم الماضي بهذا الخصوص بدايات بسيطة وستتبعها «مضاعفات» قاسية جداً، وربما يصل الحال إلى ما وصلت إليه في العراق عام (١٩٧٧ م) حيث نفذ حكم الإعدام في أكثر من (٤٠) حُسينيَاً لإصرار الجماهير الحسينيَة على إقامة عزائها على الشهيد المظلوم في أربعينيته.

وربما يحتال الطغاة من أجل تفريغ العزاء من محتواه الثوري او تطويقه في أطر ضيْقة سواء من الناحية السياسيَّة أو الفكريَّة أو المعنويَّة أو الجماهيريَّة وذلك فيما إذا فشلت محاولاتهم في القضاء عليه، ولكن عناية الله و رعايتها للعزاء ولتنامي وتصاعد الوعي الإسلامي في كل أطراف العالم ستبوء كل هذه المحاولات بالإخفاق الذريع، ويستمر العزاء الحسيني والجماهير الحسينية في طريقهما التكاملي بكل ثبات وإصرار وجهود – ان شاء الله تعالى.

ولكن سوف يأتي إستدراك موجِع ومخيّب للآمال للاسف الشديد.

طموحات وأفكار

نطمحُ ان تكون الجماهير الحسينية «المادَّة البشرية» أو «القاعدة الشعبيَّة» لخمسة مجالات أساسية وخطيرة من حيث صلتها بالإسلام ومستقبل التشيع.... وهذه المجالات الخمسة في :-

اولاً – حزب الله بمنظور جديد، أي ليس تقليدا لحزب الله اللبناني، وسوف افصل بذلك ان شاء الله تعالى.

ثانياً – قاعدة المرجعية الرشيدة.

ثالثاً – جيش الامام المهدي سلام الله عليه ـ مع وجهة نظر غير المطروحة حاليا لدى بعض المؤمنين بالمهدوية كما سياتي ان شاء الله ـ

رابعاً – الأُطُر التي تتحرَّك بها وفي داخلها الحركة الإسلامية والمعين الانتقائي لعناصرها.

خامساً – مادّة المؤسّسات المهمَّة في الدولة.

حزبُ الله

هناك أكثر من مَصداق لحزب الله، ولكن لا ريب بوجود قدر مشترك مُتَّفق عليه من الجميع هذا القدر هُو المجموعة البشرية التي آمنت بالإسلام وأدّت فرائضه على درجات متفاوتة من الوعي والالتزام.. ولذلك فهي تضمُّ المرجع الديني الأعلى، وذلك الانسان البسيط الذي لا تتعدى معرفتُه بالإسلام ضروریاته، ويحمل في قلبه إيماناً بالدين العظيم وقادته، وقسم كبير من عموم الأُمّة الاسلامية يمكن ان يصدق عليهم هذا العنوان الكلي «حزب الله» بما فيهم الذي بلغ القمّة في

الوعي والجهاد، وذلك الانسان البسيط العادي السطحي في فهمه والتزامه الإسلامي ووعيه السياسي وثقافته العامة.

وجماهير العزاء الحسيني يمكن ان تشكل «مادَّة» بشرية جاهزة لحزب الله العالمي بهذا المعنى الواسع نسبيَّاً وذلك للأسباب الموضوعيَّة التالية:

١- لانهم يشكلون أعلى نسبة جماهيرية في أوساط الأمة المسلمة.

٢- الغالبية – الى حدٍّ ما – تؤمن بإِسلامها و، وكثيرون منهم يؤدي الفرائض.

٣- اكثر الذين لا يؤدَّونَ الفرائض من هؤلاء يَسهُلُ اقناعهم وإرشادهم.

٤- من السهل جداً تجميعها وتحشيدها في مُدَّة زمنيَّة بسيطة، وذلك على ضوء التجربة العزائية وبالاستفادة منها.

٥- أثبتت قدرة رائعة على الثبات والصمود والتحدي.

٦- أطوع من غيرها في الانتقاد والاستجابة تحت لواء الامام الحسين (ع).

٧- تضمُّ مختلف القابليات والطاقات.

هذه الأسباب الموضوعية وغيرها تؤكدّ أن الجماهير الحسينية أصلح قاعدة شعبية لـ «حزب الله العالمي»، وهي قاعدة شعبيَّة جاهزة كما قُلنا... وتبقى في الأُفق مسألة دقيقة وحسَّاسة في الموضوع ألا وهي الكيفية التي تنتظِمُ ولو بصورة عامَّة... وهذه القضية تحتاج إلى بحث مركّز، ومكانه ليس هنا بالطبع وإنما في موضوع مفصّل جداً هو تحت عنوان «حزب الله».

قاعدة المرجعيَّة الرشيدة

الجماهير الحسينيَّة يمكن ان تكون القاعدة الشعبية للمرجعية الرشيدة، وعلى الحركة الإسلامية وطلائع الأمة السعي الحثيث لربط هذه الجماهير بالمرجعية سواء في جانبها الموضوعي أو بأشخاصها الذين يظهرون على الساحة بفضل حيازتهم الشروط المطلوبة، ومن المعلوم أنَّ الجماهير الحسينية تحمل الولاء والحبَّ والتقدير والتقديس للمراجع العظام، حتى من أولئك الذين لا يؤدون الفرائض الشرعية...، بل إنَّ هذه الجماهير ترى في المراجع الكرام «رموزاً» دينية مقدَّسة لا تمسّ بنقد ولا تحوم حولها شبهة، ولكن نقطة الضعف في هذا المضمار فقدان التنظيم الذي يُنسِّق بين المرجعية الرشيدة وهذه الجماهير الحسينية الحاشدة، ومهما يُقَّل عن ذلك فهو دون المستوى المطلوب.

وإذا صارت جماهير العزاء الحسيني قاعدة شعبية للمراجع العظام، ومارست أدوارها على هذا الأساس، وواصلت حُضورها في الساحة من هذا المنطلق فستكوّن «رأياً عامّاً» ويعتبر بمثابة «تصويت» شعبي على اختيار الإسلام ورفض غيره من الأيديولوجيات الأخرى.

ان جماهير الحسين (ع) عندما تتظاهر بآلافها المؤلَّفة يوم الطف الدامي انما تكوِّن «رأياً حسينيّاً» وهي حتى لو لم ترفع الشعارات الحسينية فإن طبيعة الذكرى التي تتظاهر في يومها تشير إلى أنَّ هؤلاء انصار الحسين (ع) وانهم يؤيّدون عمله العظيم، ويستنكرون موقف يزيد (لع) بحق الأسرة النبويَّة الشريفة.. فاذا برزت هذه

الجماهير لتشيّع «مرجعاً» أو تستنكر التضييق عليه، أو لتحتفل بعودته من الحج... أو... أو... في هذه الحالة ولا ريب تكوِّن الجماهير الحسينيَّة «رأياً مرجعيّاً عامّاً» لأنها حاشدة وتضمُّ مختلف القطاعات، وتكوِّن في الوقت ذاته «رأياً إسلاميّاً عامّاً» لان المرجع يمثل الإسلام ويجسِّده.

جيش الامام المهدي «عج»

الجماهير الحسينية تصلح ان تكون «جيش الإمام المهدي» سلام الله عليه، ومن الروايات ما يمكن أن يستنتج منه ذلك، فقد أشارت جملة من الأخيار المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام: ان المهدي الموعود (عج) يخرج في العاشر من مُحرم، وأنَّ نداءَهُ «يا لثارات الحسين (ع)» وعليه يكون من المناسب جداً ان نتصور أن جيش المهدي (ع) سيكون من الجماهير المشغولة بعزاء الحسين سلام الله عليه في تلك اللحظة. وهو أمر معقول لحدٍّ ما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الأعداد الهائل للمعزين، والعاطفة الجيَّاشة التي تعتمل في قلوبهم ونفوسهم ووجدانهم، وكل الظروف التي تحيط بهذه الألوف المؤلفة تساعد في حينه على الاستجابة لنداء «الصاحب (عج)».. واذن وعلى كل التقادير أنَّ في البَين ما يُشجَّع على ان تكون الجماهير الحسينيَّة مادة الجيش المهدوي المبارك، ولكن وفق رؤية خاصة بالكاتب حول حقيقة أو ماهية هذا الجيش كما سيأتي بإذن الله تبارك وتعالى.

ولكن ينبغي العلم ان ذلك لا يتم دون العمل المستمر على تنضيج هذه الجماهير، بحيثُ تصِلُ إلى المستوى الذي يجعلها تتفاعل مع

«القضيَّة المهدويَّة» بنفس الدرجة التي تتفاعل بها مع «القضية الحسينية»..

ولكن ما هو المقصود بـ (جيش المهدي) كما أتصوره ؟

الجواب حسب نظري ما يلي : ـ

إن الجيش هنا لا يعني جيشا بالمعنى المعروف، أي جنود وسلاح وتدريب على القتال وغزو البلدان والناس باسم المهدي، ولا يعني رصاصاً وبارودأ، وفصائل مسلحة، ولا يعني قائداً ومقودين، ولا يعني كتائب مدججة السلاح تنزل الى الشوارع بحجة وأخرى ومبررها انها كتائب الامام المهدي عليه السلام، ولا تعني الاستيلاء على أموال الدولة، وبيوت الناس، وسرقة البنوك والمال العام بحجة دعم الجيش، ومن ثم ذاك بمثابة دعم للمهدي حسب نظرياتهم.

إن هذا التصور لجيش المهدي لا يمت بصلة الى فكرة المهدي، إنه مشروع مخيف، فقد يتحول الى عصابات فيما بعد، وفعلا، حصل مثل هذا المصير المؤلم والموجع، وقد يتحول الى صراع ارادات بين القيادات، فيحدث التقسم والتشرذم، وهذا ما حصل أيضا للأسف الشديد، فجيش المهدي العراقي تحول الى بلاء على الشيعة والإسلام والمسلمين، وتحول الى مجموعة مافيات ومصالح، وثم ان هذه الجيش إلى أي نتيجة سوف يصل فيما لم يخرج المهدي على زمنه « هل يحل نفسه، أم يبقى منتظرا، أم يتحول الى عصابات وجماعات مسلحة ؟

هذه الفكرة تسببت في ضعف نظام الجمهورية الإسلامية بل تسببت في الإساءة الى عقيدة المهدي بالذات

إذن فما المقصود بجيش المهدي هنا ؟

تجمعات وجمعيات ومنظمات هنا وهناك تعمل في سبيل الله، اعمار، بناء، إغاثة، نشر ثقافة، إغاثة ملهوف، بناء مستشفيات، تعبيد شارع، تشييد مدرسة، إصلاح ذات البين، توفير فرص عمل بسيطة...

هذا هو جيش المهدي، وهذه هي المهدوية قبل الظهور، وهذا هو مشروع الامام المهدي عليه السلام في غيبته.

مادَّة الانتقاء الحَرَكي

هذه النقطة غاية في الأهميَّة وفي نفس الوقت غاية في الواقعية، فإنّ جماهير العزاء الحسيني أقرب من غيرها إلى الإسلام والى الايمان بالعمل الحركي، ذلك بسبب الفطرة السليمة التي تحكمها والتي تحملها الكثرة الكاثرة من هذه الجماهير، وبالإمكان كسب الكثير منهم كقواعد جماهيرية ساندة للعمل الحركي، ولا يحتاج هذا الامر إلى إحداث انقلاب فكري جذري أو هائل في عقليَّة الجماهير الحسينية، بل يكفي مستوى مُعيَّن من الثقافة والعلم والفكر يتسلَّح بها «الحسيني» تُراعى فيه القدرة على بنائه وتمكين الجهاد من قلبه وروحه والامكانية على تحصينه، ولقد تفاعلت الحركة الاسلامية الواعية مع هذا القطاع ولكن ليس بالشكل المأمول،لا لأنها اهتمّت بشكل رئيسي بالنمط المثقَّف [جامعيون، موظفون، أساتذة...] بل لأنها لم تحِط هذا القطاع الحيوي بالرعاية الكاملة، وقد انتبهت الحركة الاسلامية الى هذه المسألة ابان الثورة الاسلاميَّة المباركة.. وعلى أيَّ حال فإنَّ جماهير العزاء الحسيني تعتبر خير مادَّة لاختيار بنية الحزب الإسلامي.

المؤسسات المهّمة في الدولة

الجماهير الحسينية خُير معين لتزويد الدولة الإسلامية بمادَّة المؤسسات المهمَّة التي ستنشئها بلحاظ حاجات جديدة.. حرس.. تعبئة.. جيش...، إلى غير ذلك، وقد خطت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في هذا الخصوص خطوات مُهمَّة ورائعة يمكن الاستفادة منها إلى أبعد الحدود في التجارب الجديدة من هذه الناحية إن شاء الله تعالى.

ومن البديهي أنَّ من العسير جداً إعطاء صورة تفصيلية عن هذه المؤسسات وكيفية التعامل معها على ضوء أهمية الجماهير الحسينية، وانما مثل هذه الأمور التفصيلية تؤجل لوقتها.

ملاحظات على ما سبق

الملاحظة الأولى.

ان «حزب الله» و«القواعد الشعبية للمرجعية الرشيدة» و«جيش الإمام (ع)»، و«العناصر المنتقاة للحزب الإسلامي»... كل هذه وغيرها من المؤسسَّات التي يمكن ان تتغذَّى بالجماهير الحسينية تشكل وحدة واحدة. وكل هذه التقسيمات إنما هي من باب الاعتبار وليس تقسيماً صارماً وحقيقياً، وهذا الأمر واضح، وكل محاولة لوضع الحواجز الفاصلة، انما هي من صُنع الاستعمار أو الكفار أو ذوي النفوس المريضة.

الملاحظة الثانية.

ان كون الجماهير الحسينية «مادة جاهزة» لكل هذه المؤسَّسات لا ينفي بأي حالٍ من الأحوال الحاجة إلى الأفراد والعينات التي لا ينطبق عليها عنوان «حسيني» بذلك المعنى، فلو أن استاذاً جامعياً مؤمناً، ولكن لا يلبس السواد أيام عاشوراء، ولا يشترك في اللَّطم أو البكاء لسبب وآخر أمَّا لخجل أو لظرف خاص... هذا الأستاذ غير حسيني بالعنوان المتعارف عليه، وهُو ليس عيّنة من عيّنات جماهير العزاء الحسيني، ولكن هذا لا يعني أنَّه طاقة مهملة في المجالات التي تحدثنا عنها سابقاًا، فهو قد يكون منظِّراًا أو محاضراًاا أو محلّلاً سيَّاسيَّاً أو.. أو، ولذلك من الخطأ أن نضع علامة «×» على مثل هذه النماذج.

الملاحظة الثالثة.

قولنا أن «جماهير العزاء الحسيني» مادَّة جاهزة في المجالات المذكورة لا يقضي انها جاهزة من جميع النواحي، فالعديد من جوانبها وابعادها تنتظر من العاملين الانضاج والتهذيب، وبعضها يستوجب الحذف والتبديل، ولهذا ينبغي السعي لدراسة «جماهير العزاء الحسيني» وتشخيص إيجابياتها من أجل تأكيدها وتعميقها وبيان السلبيات لغرض اقتلاعها والقضاء عليها والكشف عن نواقصها بُغية توفيرها على أحسن صورة ممكنة.

الملاحظة الرابعة.

إن جماهير الحسين يمكن ان تشكل رصيد الدولة الحي ليس على صعيد الدولة الحاكمة باسم الإسلام، بل الدولة بحد ذاتها مهما كانت هويتها.

رأي في عملية تطوّير الشعائر الحسينيّة

أولاً – عالميَّة الشعائر.

نحاول أن نجعل من الشعائر الحسينية ظاهرةً عالميَّة أي على صعيد كل المسلمين دونما فرق يُذكر بين طائفة وأخرى، وهذا الأمر ممكن جداً، خصوصاً إذا علمنا أن الحسين عليه السلام مقبول ومحبوب ومرضيّ لدى كل الفرق الإسلاميَّة بدون استثناء، بل ان البكاء عليه مسألة سهلة من حيث الاستدلال على محبوبيتها لله تعالى في كل المذاهب الإسلاميَّة، ولك أن تراجع في هذه القضيَّة الكتب التالية:

١- جامع الزيارات – المقدمة.

٢- إقناع اللائم في إقامة المآتم.

٣- أحسن الجزاء في إقامة العزاء – جزآن.

٤- تاريخ النياحة على سيد الشهداء / جزآن.

ولا مانع ان تكون هذه العالميَّة في مرحلتها الاولى على مستوى حضور المجالس – مثلاً – ثم تأخذ بالإتَّساع تبعاً لتوفّر الفهم المتكامل للقضيَّة.

ثانياً – توحيد الشعائر.

ويكون ذلك بالتنسيق بين كل الحسينييّن فيما يخصُّ الشعائر على كافة مستوياتها وفي جميع قضاياه، ولا بأس ان تتألف هيئة حُسينيّة عالميَّة، تجتمع سنوياً قبل محرم الحرام بُمدَّة زمنيَّة مناسبة للتداول في وضع الخطوط العريضة والتفصيلية لسيرة العزاء الحسيني وشعاراته وأهدافه، مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف الموضوعيَّة والذاتيَّة السائدة.

ثالثاً – التعريف المستمر بالشعائر.

لا بدَّ ان نُعرِّف الحسينيين خصوصاً والمسلمين عُموماً والبشرية بشكل أعم...

... لا بُدَّ أن نُعرّفهم باستمرار وعلى الدوام بحقيقة العزاء الحسيني... فكرته... تأريخه... شرعيَّته... دَوره... مضامينه... آثاره... أغراضه واهدافه.. ويكون ذلك بما يلي:

١- نشر الكتب بمستويات مُتعددة خصوصاً على المستوى العام.

٢- الخطابات والمحاضرات.

٣- عقد الندوات والاجتماعات وإثارة الموضوع خلال ذلك.

ان هذا التعريف ينبغي ان يكون مُستمرّاً وبدون انقطاع، لكي نفلحَ في نهاية المطاف بتكوين وتحقيق وصنع جماهير حسينيَّة مثقفة، وثقافتها لا تقتصر على فهم قضيَّة الحسين (ع) بل قضيَّة العزاء الحسيني أيضاً.

رابعاً – إيجاد رمز للشعائر والعزاء الحسيني.

وذلك على غرار الرموز والشعارات التي تتصدَّر العديد من الهيآت السياسيَّة والدوليَّة والانسانيَّة مثل «الهلال الأحمر» (اتحاد الطلبة...).. الخ، والموافقة على الشعار مرتبط بتقديرات العلماء الاعلام والمرجعيَّة الرشيدة.. ولعلَّ من نافلة القول التذكير بضرورة توافر أبعاد القضيَّة الحسينيَّة في الشعار او الرمز، وكم هُو رائع وجميل أن يتصَّدر الرمز المذكور واجهات المجالس والحسينيات، ويوضع على صدور الحسينيين أثناء ممارستهم للشعائر الحسينيَّة.

ان الرمز في تصوري يساعد إلى حدٍ بعيد على التعريف بالعزاء الحسيني، وسيعطيه بعض الأبعاد العالميَّة، وسوف يُسهم كثيراً في توحيد العزاء وفي صَهر الجماهير الحسينيَّة.

خامساً – توفير المادة الحسينية.

وقصدي من ذلك أن يتوفر جماعة من العلماء التقاة على دراسة حياة الإمام الشهيد (ع) وسير المصائب التي حلَّت به وبالأسرة المحمَّدية الكريمة، ويعملون في الأثناء على فرز الحقائق من الأباطيل، ويكثبون في ذلك الأسفار المحكمة والمضبوطة المتفق عليها، وبهذا العمل الجبَّار يُحصِّنون القضيَّة الحسينيَّة من تلاعب الجهال واغراض المنتفعين، ويوفّرون للجماهير الحسينية بل للإنسانيَّة جمعاء ثروة علمية ودينيَّة رائعة، تفيدُ أيّما إفادة.

سادساً – التطعيم (بالكوادر) المتقدمة.

ونعني بهذا السعي إلى إشراك اكبر قدر ممكن من القطاعات المثقفة الواعية، الأطباء والمهندسين واساتذة الجامعة والمحامين وغيرهم في العزاء الحسيني، على ان يكون ذلك واضحاً للعيان، مشهوداً للناس، وبديهي أن يتم هذا بعد إقناعهم بالأدلة والبراهين... ان هذه الخطوة إذا تحققت بعون الله فستوسّع من نطاق الشعائر الحسينيَّة وتثريها، وتنفي صفة «العوام» عن الجماهير الحسينية. ولا شك ان الكثير من هذه العناصر يشارك في احياء الشعائر الحسينيَّة، إلا أنه ينبغي تكثيرها بحيث يصبح اشتراكها مكثفاً وحالة طبيعيَّة.

سابعاً ترشيد العناصر الحسينيَّة.

ليس غائباً عن الاذهان أن العزاء الحسيني يحتوي على عناصر بشريَّة أساسيَّة أو لنقل مركزيَّة... مثل :

- الخطيب.
- الرَّادود.
- الشاعر.
- المشرف.
- الطبَّال.
- النقّار.
- حامل العَلم.
- حامل المشعل.

كل هؤلاء وغيرهم من العناصر المركزيَّة في العزاء الحسيني تحتاج إلى ترشيد وتوجيه سواء على تصعيد الفكر أو الممارسة.. ونعتقد ان هناك أتفاقاً شبه مُجمع عليه في هذا الصَدد من قبل كل المهتمين الواعين بالعزاء الحسيني.. بل هذه القضيَّة كثيراً ما طرحت وتطرح بين الإسلاميين.

ثامناً – تصدير العزاء من بيوت المراجع.

فمما لا ريب فيه أنَّ تصدير العزاء من بيوت المراجع الكرام يؤكّد شرعيتَّها، ويضفي عليها هيبة مُستمدَّة من هيبة هؤلاء العظام الذين أناط الله بهم صيانة ونشر وبيان احكام الشريعة، ومن الجدير بالذكر أن العديد من المراجع يقيمون مجالس التعزية في بيوتهم للأجر والثواب والتبرك، ويولون ذلك أهميَّة كبيرة.

تاسعاً – تأصيل الطابع السياسي.

ويكون ذلك بتكثير الشعارات السياسية اثناء المسيرات الحسينية... بحيث تصبُّ هذه الشعارات في نهاية الأمر بمصلحة الإسلام والمسلمين، والانسان بشكل عام، ومن البديهي أن ذلك انما يكون ضمن محاولات أوسع يتمُّ من خلالها بتبصير المسلمين وانصار الحسين (ع) بشكل خاص بالأبعاد السياسَية للعمل الحسيني والآثار التي ترتبت عليه وذلك من حيث طابعها السياسي.

عاشراً – تحويل عاشوراء إلى موضوع.

أي ان يكون لدينا عاشوراء دائمة، ولكن كيف ؟

هذا ما سوف أتكلم عنه لاحقا.

حادي عشر – تعميق العنصر النسوي في الشعائر.

كأن يكون لهنَّ مسيرات حسينية على غرار ما للرجال، فان هذا من شأنه توسيع رقعة الجماهير الحسينية، كما ان العنصر النسائي ولا ريب يزيد من طابع الحُزن في العزاء وهي مسألة مُهمَّة في الشعائر الحسينية وينبغي تثبيتها وتأكيدها.

ولكن كانت هناك انتكاسة...

ما هي يا تُرى ؟

تأتي لاحقا.

الجولة الرابعة
عزاء (طويريج) بالخصوص

هذا اللون من العزاء له نكهت الخاصة، ميزاته التي تفرد بها، ولذلك اشتهر باسم القصبة / المدينة التي نشا منها وبها وفيها، مكانا وأهلا، وإن اول ما يتميز به هذا العزاء العفوية الصادقة المتأججة بحب الحسين عليه السلام، وثاني ما يتميز به هو كونه عزاء خاصا تمام الخصوصية بالحسين،حتى ان نداءه واحد، وهتافه واحد، وشعاره واحد، شعار النداء النابع من الأعماق بل من أعماق الأعماق (يا حسين)، بعيداً عن كل شعار سياسي أو حتى شعار تعليمي وتوجيهي، بل العنوان والمعنون هو الحسين عليه السلام، ومما تميز به هذه الهرولة ذات الإيقاع المتناسق مع الشعار، وكأن موسيقى الهية مرسومة من قبل لتكون روح هذا العزاء وضميره الحي، ومن ميزاته انه لم يكن عزاء سلطة ولا عشيرة ولا حزب ولا اسرة، بل هو عزاء محبي الحسين عليه السلام، لا فرق بين غني وفقير، ولا بثين عالم ومتعلم، ولا بين موظف وكاسب، الشيء د الذي يوحدّهم ويجمعهم هو النداء الساحر النابع من أعماق الأعماق كما قلت قبل قليل، عزاء مستور وقور، تجلله مهابة الحسين، وحلاوة العشق الروحي لهذا الامام الجميل، الشهيد بن الشهيد أبو الشهداء كما وسمه عملاق الفكر العربي عباس محمود العقاد رحمه الله.

العزاء ليس له تاريخ عريق، فهو كما يذكر المؤرخ الصديق

الصدوق جودت القزويني ان جده الأعلى صالح القزويني كان يقيم شعائر العزاء الحسيني في بيته الكريم،وفي صبيحة العاشر من محرم يقرا في بيته (مقتل الحسين) لابن طاووس، ومن ثم تتجه الجموع باتجاه الحرم الحسيني في كربلاء المعلى الذي لم يبعد عن طويريح اكثر من ١٥ كم، فيدخلونها بعد الظهيرة بساعة واحدة وهي الساعة التي قُتل بها سيد الاحرار، ثم تطور العزاء برعاية ابنه بعد وفاته في سنة ٦٦٤ ه /١٢٦٦ م، والفارس الجديد الذي عنى بهذا العزاء المهيب هو السيد هادي القزويني، ثم السيد جواد بن السيد هادي المتوفي سنة ١٣٥٨ /١٩٣٩، ثم أخوه السيد مهدي المتوفي سنة ١٣٦٦ /١٩٤٧، ثم من بعده السيد محمد بن السيد ضياء بن السيد حسن بن السيد صالح ـ الجد المؤسس ـ المتوفي سنة ١٣٧٥ / ١٩٥٦، ومن بعد أخوه السيد رضا بن السيد حسن، ثم من بعده بسبب المرض الذي اقعده تولى الاشراف على هذه المنقبة الكريمة السيد محسن حسين نجل السيد هادي المتوفي سنة ١٣٩٣ / ١٩٧٣، وفيما ينقطع الجذر الروحاني في هذه الاسرة الشريفة تولى المهمة الروحانية السيد عبد العزيز بن حسين بن حسن بن محمد بن محمد بن علي جد الاسرة السيد أحمد القزويني وقد كانت وفاة هذا الطيب سنة ١٤٠٠ /١٩٨٠، ثم تولى المسؤولية السيد موسى بن السيد محي بن السيد حمادي بن السيد... بن السيد أحمد القزويني الذي استشهد على يد زبانية البعث المجرم لأنه لم يمتثل طغيانه في الامتناع من إقامة العزاء المهيب، وكان استشهاده سنة عام ١٤٠١ /١٩٨١،ولم تُسلّم جثته، وقد نال شرف الاستشهاد معه

صهره السيد فارس، واثنان من أخوته...

هذا ما سجلته نقلا عن كتاب (تاريخ عزاء طويريج) للمرحوم جودت القزويني، حيث يسترسل في حديثه الشيق عن هذا العزاء المهيب فيتعرض إلى فترة حكم حزب البعث، ومشروعه القاضي باستئصال العزاء الحسيني مشروعا وفكرا ووجودا، فكان ما كان من قتل وتشريد للخطباء ولأصحاب المواكب، ولم يسلم عزاء طويريج من تبعات هذه السياسة الغاشمة... ولم يحل عام ١٩٨٠ حيث كانت الحرب العراقية الإيرانية حتى اشتدت حملة حزب البعث السلبية والقامعة تجاه المواكب والتعازي الحسينية، وقد قاوم السيد موسى القزويني حياته ثمنا في مواجهة إصرار السلطة على منع عزاء طويريج، حيث كان مصيره الاعتقال ثم التغييب، مما يعني أن أجهزة الامن الصدامية قضت عليه. وفيما تستمر ملحمة طويريج متحدية جبروت البعث وزبانيته كان صدام قد قام بعمليته المشينة، غز الكويت، وما تبع ذلك من تمرد عسكري وشعبي اثناء عودة الجيش العراقي منكسرا من الكويت، مما استتبع سقوط اكثر المحافظات العراقية بيد (المنتفضين)، وكان الامل ان تنتصر هذه (الانتفاضة) لولا تلك النقلة الهائلة في فكر الامريكان حيث قرروا الإبقاء على صدام حسين لحسابات كانوا قد حسبوها بدقة، فقاموا بقصف المنتفضين، وقد ساهم في هذه الانتكاسة المرّة خيانة الإيرانيين للمنتفضين، وكانت الخيانة مركبة، حيث سمحت لجماعة سيد باقر الحكيم الدخول الى العراق رافعين صور الامام الخميني وصور باقر الحكيم، ومن ثم انسحبوا بأوامر إيرانية بعد ان علمت

ايران ان أمريكا جادة بالبقاء على صدام، كان ذلك قد حدث في سنة ١٩٩١، وفي سياق تعقد الوضع وتشابك الأوضاع وقف مشروع عزاء طوريج، حتى سقوط النظام العاتي على يد التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية في عام ٢٠٠٣، وكان رد الفعل غريبا على صعيد العزاء الحسيني، فقد تضخَّم بشكل غير معهود واتخذ اشكال غريبة عجيبة، وسوف افرد لذلك فصلا خاصا، ولكن من الآثار الإيجابية لسقوط النظام العاتي هي العودة المباركة لعزاء طويريج، حتى بلغ عدد المشاركين ثلاثة ملايين مشارك، وما زال نابضا بالحيوية والقوة والنشاط.

ومن المقتربات ذات الأهمية في خصوص هذا العزاء انه اتسع نطاقه على يد العراقيين في المهجر، كان ذلك في قم والمنامة ودمشق /السيدة زينب، إلا أنها كما يبدو لم تستمر، لأسباب سياسية بالدرجة الأولى.

٢

عزاء طوريج تراث عراقي شيعي حسيني فطري، تأسس عفويا من بداية بسيطة لم يكن الهدف منها ان تكون بداية لمشروع بعنوان عزاء طوريج، وقد تضخم العزاء عددا بتوالي السنين، وقد وجد تعاطفا من قبل كثير من العلماء، ولأنه كان عزاء متميزا، مهيبا، حامت حوله بعض المبالغات والتهويلات، ومنها ما أشيع من أن السيد بحر العلوم كان قد شارك في العزاء، حاسر الرأس والصدر، وفيما يساله البعض عن سر هذه المشاركة يجيب، بانه رأى صاحب الزمان في العزاء المذكور !

وقد فنّد السيد جودت القزويني هذه الحادثة في كتابه الذي مرّ بيانه، وقد أختلقت الكثير من القصص الخيالية حول هذا العزاء المهيب، وهي لا تزيد ولا تنقص من قيمته ودوره وجماله وأثره، لأنه حقيقة قائمة لا بوجودها فقط بل بتأثيرها، اقلا باستذكار المصيبة، وتأجيج العاطفة باتجاه الحسين عليه الصلاة والسلام.

النقطة التي اريد اثارتها هنا، هل الدعوة الى تجديد أو تحديث عزاء طوريج مشروع عقلاني، وما هي مواد أو معالم هذا التطوير، وما هي أدواته ومنهاجه ؟

ليس من شك ان عملية التجديد الفكري والتراثي مهمة جليلة، وذات نزعة اصيلة في أكثر المحاولات، ولكن ليس كل ظاهرة يجب تطويرها، ويجب احداث تغيير على هويتها وجريانها وحركتها، لان قوتها بهذه الهوية، وبهذا الجريان، الهوية الأولى والجريان المعلوم، فإذا ما تغيرت او انحرفت او تطورت هذه الهوية تضيع الظاهرة برمتها، تذوي شيئا فشيئا حتى تعدو أثراً بعد عين، تماما كما هي

صلاتنا الشرعية، وبناء على هذا المقترب فإن أي دعوة مهما كانت جهتها لـ (تطوير عزاء طويريج) مهما كانت الجهة التي تقف وراءه، ومهما كان نوع التطوير غير مأمون النتيجة والآثار.

إن العزاء الحسيني بوجوهه المتعددة غناء وثراء، ويعبر عن عمق المأساة وصلتها بكل جوانب التكوين الإنساني، فكما ان هناك من يريد ان يعبر عن هذه المشاعر بطريقة هادئة، سكينة، هناك من يريد ان يعبر عن مشاعره بانفعال وعاطفة جياشة، فالعواطف من الصعب حصر طبيعة التعبير عنها، وكما أن مواكب الطلبة مادتها فئة من المجتمع ذات خصائص ومعالم خاصة بها، كذلك عزاء طويريج، فضلا عن هذا العزاء له تاريخ، وتاريخه جزء لا يتجزأ من هوية الذين تولوه وقاموا عليه ومارسوا طقوسهم من خلاله، بل هو طقسهم الخاص بهم، ويعبر عن صدق الموقف، وحرارة الإخلاص الفطري، حتى إذا كان المشارك يحمل ارقى الشهادات العلمية.

هناك نقطة جديرة بالالتفات حول هذا العزاء المبارك، فان من الملاحظ فيه مراعاة الشرع في اخص خصوصياته، اقصد الصلاة، فأهل الركضة حريصون على أداء صلاة الظهر في وقتها وهم متجهون الى كربلاء المعلى، مما يضفي على العزاء هويته الأولى، أي الالتزام بالدين وخط اهل البيت عليهم السلام، كما ان هناك نقطة أخرى ملفتة للنظر حقيقة ان الهتاف واحد، (يا حسين)، ولم يخالطه أي زيادة أو نقصان فيكون هتافا حسينيا صافيا، بعيدا عن غلو محتمل وتطرف طاريء وانحراف عقدي او شرعي، فهو العزاء الحسيني الخالص حقا.

الجولة الخامس
وكانت الانتكاسة !

١ - ١

ولكن...

ولكن...

ولكن...

وألف ولكن...

بل ومليون ولكن...

إن الكلام السابق إنما جاء في سياق واقع حال كان سائدا أو شبه سائد، وكان واقعَ حال جميلا، وقورا، وإنْ كانت هناك بعض الهنات فهي عارضة، كان زمن الشيخ كاظم نوح رحمه الله، وكان زمن الشيخ العميد، أحمد الوائلي رحمه الله، وكان زمن الشهيد الخالد جواد شبّر، زمن عدنان البكاء، زمن سيد حمد، زمن هؤلاء ومن على شاكلتهم من التقوى والخوف من الله، وعلى شاكلتهم من حب الحسين، ومن الالتزام الشرعي، ومن عفَّة اللسان، كان زمن اللطم على الصدور المحتشمة، وشج الرؤوس رغم كل ما عليه من ملاحظات كان مظهرا من مظاهر الولاء للحسين بما هو الحسين، كان زمن الدمعة الصادقة على الحسين، وأبناء الحسين، وأصحاب الحسين، يوم كان الرادود يملك هيبة العزاء، يضفي على العزاء هيبة، شخص مشهود له بالتقوى والالتزام، كان زمن الرادود حمزة الصغير، عبد الزهرة الكعبي، عبد الرضا النجفي، ياسين الرميثي

وغيرهم من علامات الردّة الحسينية، كان الرادود بمثابة علامة، حقا كان علامة، وما زالت هذه الاسماء تقدح بصدى الامنية المسترجعة، ياليتهم يتكررون...

يوم كان رجال التشبيه مِمَّن طبعت تربةُ الحسين على جبهته معالم الذوبان في حب الله، وحب الحسين، وحب أهل الحسين واصحابه.

يوم كان التباري رغم ما عليه من ملاحظات، ورغم ما منه من مآسي، ولكن يبقى تباري متمترس بحب الحسين، الحب كامن وراء هذا التباري حتى وإن شابه شيء من الرياء، إنّه الرياء الممدوح.

يوم كانت الردّات تحكي الفاجعة، هكذا قتلوا الحسين، وهكذا سُبيت نساؤه، وهكذا كان يقاتل مسلم بن مظاهر، وهكذا خاطب العباس أخاه...

كان العزاء شفاًّفا، لا يخلو طقس من إنحراف في الإداء، ولا يخلو طقس من شائبة، ولا يخلو طقس من غريب حتى على روح القضية، هذه سنّة إجتماعية، ولكن فيما تعاملنا مع العزاء فيما مضى سوف يغلب فيه الايجابي على السلبي، يتغلب الاخلاص على الرياء، الهيبة على الابتذال، الوقار على الفوضى، الحزن الحقيقي على الحزن المصطنع، الشرعي على اللاشرعي...

وإلّا هل يمكن أن يتحول العزاء إلى طاقة إيجابية والتعبير عنه يخضع لغواية الجسد لا لصفاء الروح والضمير ؟

وهل يمكن تحويل العزاء إلى جماهير مهدوية وآلات الطرب تمرِّر من خلال الجسد وقْعها الراقص المشعوذ المبتذل البارد ؟

وهل يمكن أن يتحول العزاء الى مظهر حضاري يحكي تلك المأساة الرهيبة بعنوانها الرسالي الانساني والقصائد سب وشتم وتجديف وتخريف ؟

وهل يمكن أن يتحول العزاء الى ثورة أخلاقية و(المعزّون) يقطعون طرق المارّة، ويعبثون بالمال العام، ويعطِّلون الدوائر والمدارس والأشغال العامة ؟

هل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني الى مادة لتأصيل الاسرة المسلمة فيما الاطفال يتناثرون هنا وهناك في آواخر الليل بحجة المشاركة بعزاء الحسين ؟

هل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني إلى رسالة عالمية والمواكب ترفع صور هذا المرجع أو ذاك، هذا الشهيد أو ذاك، هذا المتبرّع أو ذاك ؟

هل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني إلى قضية إنسانية والتقاتل على (التمن والقيمة) في وسط الشوارع والازقة حتى بلغ حالة من القرف والتخلّف ما يجرِّح روح الحسين عليه السلام ؟

وهل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني إلى حكمة توجيهية اخلاقية ذوقية والقدور، قدور التمن والقيمة تحفرُ أثافيها شوارعَ وارصفة المارّة حتى لو كانت حديثة الترميم ؟

هل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني الى مادة لترقيق القلوب، وتليين المشاعر، والخرفان والعجول والابل تُذبَح على مراى الاطفال، يختلط دمها بالاوساخ والازبال والاتربة، وينادي الذبّاح (يا حسين) ؟

هل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني إلى فرصة تراض وتراحم وتفاخر بالاخوة والصداقة والأخلاص والمواكب تتحول إلى نوافذ نقد جارح، ونقد لا يحترم الذات ولا الاسرة، ولا يعطي أي إعتبار لذمم الناس، إمّا لخلاف حزبي أو سياسي أو عشائري أو مناطقي؟

هل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني إلى محاولة إحيائية حقيقية والحسين يغيب في الاثناء حيث يتحدث الخطيب عن نيوتن وانشتاين وفوكو، وربما الخطيب هذا لم يفهم حقيقةفكر هؤلاء ولا علمهم ولا اثرهم الحقيقي في التاريخ ؟

وهل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني الى فرصة وئام وتصفير المشاكل داخل المنطقة وصوت القاريء الحسيني أو الرادود الحسيني يخترق الجدران، جدران البيوت المجاورة، والمستشفى المجاورة، والمدرسة المجاورة، والدائرة المجاورة حتى في الصباح الباكر، حتى في منتصف الليل ؟

وهل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني الى عزاء حقيقي والشباب، بعض الشباب حيث يلقي القاريء خطبته فيما هم منتشرون على أطراف الموكب، يتهامسون ويتضاحكون وربما حتى بنبز الالقاب، رغم انهم متوشحون بالسواد جملة وتفصيلا ؟

هل يمكن أن يتحول العزاء الحسيني إلى مرشد للذوق، ومهذِّب للعلاقات بين الناس، واحترام اعتباريات وخصوصيات الناس فيما يُقام حتى ساعة متأخرة من الليل، والناس نيام، وبعضهم على موعد مع الاستيقاظ باكرا، لانه مسؤول عن جلب لقمة خبز حلال لاطفاله أو على موعد مع مئات الملفات في دائرته أو محل عمله ؟

كيف يمكن أن يتحوّل العزاء الحسيني الى مدرسةشفاَّفة في معنى الثواب، ثواب الإطعام على حب الحسين، حيث لا يتطلب الأمر أكثر من لقمة بسيطة، يتناولها طالب الثواب بوقار واحترام واستشعار مأساة بن بنت رسول الله، بل هناك من يملأ كل ما عنده من قدور من (بركات) هذا الثواب، ويجمِّدها وكأنه يحسب حساب جوع قادم؟

لا يعني هذا انا ضد الاطعام بحد ذاته، ذلك من القيم الاخلاقية السامية، ونحن العراقيين معروفون والحمد لله بهذه الشعيرة الطيبة، فكيف بالاطعام بعنوان الثواب، وثواب على حب الحسين، ولكن أن يتحول هذا الثواب الى استغلال وشره واستحواذ إنما يسيء الى فلسفة الثواب، بل يخرج الثواب من هويته الروحية،والقائمة تطول.

هل يمكن أن يتحوّل العزاء الحسيني إلى مرشد إجتماعي رصين، يحرص على مستوى راق من التربية الاجتماعية فيما وأنت عائد من عملك في ساعة متأخرة من الليل لتر بعينك اطفال وصبيان منطقتك متجمِّعين تحت خيمة(العزاء)،بلا رقيب ولا حسيب، متوشحين بالسواد، يمرحون ويسرحون وكأن الواجب المدرسي الذي ينتظرهم قد مات ذكراه، وغدا لا يعرفون من صباحهم سوى أنه وقت مضى ومضى معه الخير والنشاط والجد والجديّة ؟

١ - ٢

مجرّد أن انتهى حكم الطاغية صدام حسين، وتنفَّس العراقيون نسائم الحرية المفقودة، حتى برزت مظاهر مثيرة، فتَّاكة، مخيفة،وكأنها كانت خبيئة فلما ارتفع المانع، ظهرت بقوة وشراسة وعنفوان، لعل من المظاهر الواضحة في هذا المجال الثأر العشائري، والتهالك على المال بمنسوب لم أشهد له مثيلا فيما سبق من عمري التعيس، والنزعة الطائفية، وغياب الاحترام بين الاجيال الجديدة، والتهرُّب من المسؤولية، والعبث بالمال العام، وهجر الدراسة، وتفشي الرشوة، وتفكك الاسرة، وارتفاع منسوب الهجرة الى المدينة، وترييف المدينة، وانتشار المخدرات بمديات مثيرة للغاية، وتسيّد المغالبة، وتسلّط الامية الابجدية والثقافية، وتقديس الشخصية، وتطبّع الاجتماع بطابع العبودية المختارة...

وكم من ذلك من نظير...

العزاء الحسيني بعد سقوط النظام هو الآخر تعرّض لهنات تصيب منه الراس والرئة والقلب، ولا غرو، فإن مجتمعا يسدر في مثل هذه الغياهب المظلمة لابد ان يتسبب بما فيه من بلاء وشقاء عزاء أبي عبد الله عليه السلام، بل ربما هو الساحة الاكثر خصوبة لمثل هذه اللحوقات المثيرة للشك والخوف والألم، فهو تقليد بل ثقافة طائفة مؤمنة، حاربت وقاتلت في سبيل الله والوطن ما جلب اعجاب حتى المشككين بنقائها وصفائها وبرائتها، وإلّا تعالوا نستعرض العينات الحقيقية التالية :

• **التطيين :ـ**

مشهد عزائيٌ انتشر في الايام الاخيرة، مشهد عزائي «حسيني» وجد صداه لدى كثير من (المعزّين) بل وأرباب عزاء هنا وهناك، جموع من المعزّين قد طيّنوا رؤوسهم وأجسادهم، تطيين بالكامل، نساء ورجال، شباب وشيوخ بل واطفال، وحامل صفيحة ملئت طينا يتحرك بين المتطينين، يغرف بيديه من الطين «العزائي» قبضة كبيرة،يكوّرها بفنِ بنّاءٍ محترف، ليملأ بعض المساحات الصغيرة من الجسد (المتطيِّن) حيث ما زالت هناك مساحات لم تتبرك بهذا الطين الذي ربّما يتحول بعد انتهاء العزاء الى طين مقدس.

كنّا صغارا ونحن نشارك في العزاء الحسيني الشفاف، نطلي جبهتنا بلطخة طين خفيفة، علامة على الحزن، وإشعارا منّا إننا متضامنون مع مصيبة سيد الشهداء سلام الله عليه،لم نكن نطلي ثيابنا بالطين، ولا نعرِّي أجسادنا من أجل ان نطليها بالطين، ولم نعهد عن أحد الائمة عليهم السلام ان قام بمثل هذا الفعل الشنيع، وهو بحد ذاته ليس دليلا على الولاء وصدق المتابعة، فالله وحده يعلم بالنوايا.

• **الدائرة الجهنمية.**

لعبة سيرك من نوع جديد، دائرة من المعزّين، في الغالب شباب يافع، يشكلون دائرة أهليلجية، يشد بعضهم بعضا بحبل غليظ، يتدافعون بقوة جنونية، وفي وسط الدائرة ثور هائج، يقفز قفزات هستيرية مخيفة، وحوله مشجِّعون، مصفِّقون، يصدرون أصوات مبهمة، والسلسلة الدائرية تهتف (يا حسين) !

إنها اللعبة التي تحول العزاء، عزاء ابي عبد الله إلى لعبة مجنونة،

يختلط فيها التصوف والفوضى والجنون والعبث والاستهتار والضياع، بل حتى الجد والهزل، ونداء (يا حسين) يختلط بالغبرة والهيجان ونعيق الثور الهائج، مشهد مرعب.

واللطم يشكل إيقاعا مجيدا، يتناغم مع النداء المفترى عليه، ويتطابق مع قفزات الثور الهائج بلا حدود.

هذا الثور حتما دخل مرحلة تدريب خاصة، وهذه الجموع لا ابرئها بشكل عام عن إرادة مسبقة، وإن على مستوى الموجّهين والمسيِّرين.

• حب الحسين جنَّني.

الذي نعلمه إن حب الله لا يشغل القلب بغير الله تبارك وتعالى، يرشد إلى العمل الصالح، ويهذب الافكار الطائشة، ويدخل الطمأنينة الى الضمائر والقلوب، كذلك حب الحسين سلام الله عليه، إنه حلو، جميل، يهدينا سواء الطريق، لا يجنّن ولا يهلوس ولا يُخرج الانسان عن طبيعته ولا إرادته، فهذا الشعار شعبوي، ولا استبعد جيء به لتبرير بعض السلوك المشين الدخيل على العزاء، من فوضى وهوس وهيجان وصراخ وما شابه ذلك من تصرفات مشينة بحق الحسن والحسين وكل الائمة سلام الله عليهم.

هناك وكما قرأت بعيني لافتات بهذا العنوان، على واجهات ابنية رسمية، وحوانيت، ومدارس، وجوامع، وما إلى ذلك، ومن الطريف أن أحدهم كان قد صدّر واجهة محله بهذه العبارة الغريبة (حب الحسين جنني) ولكن ما ان تدخل معه بنقاش حول سعر سلعته حتى يتبدى لك خبيرا في المغالبة والتحايل للحصول على أكبر ثمن ممكن.

• **كلاب الحسين !.**

معزّي كما يدّعي وقد اقعى كما هو الكلب، وقد علّق برقبته قلادة ذات حلق نحاسية، تتدافع فيما بينها عندما يهزّ (هذا الكلب) رأسه، فتخرج أصوات متلاحقة، وكأنها لحن حزائني، ويقوده سائس محترف بطرائق تمرين الكلاب على الطاعة والاستجابة للاوامر، يقود به يمينا وشمالا، وقد رفع لافتة عريضة كتب عليه (كلاب الحسين).

• **اللطم الراقص.**

وقد رأينا منه فنونا غريبة، بعضهما حتما مستورد من الغرب، وبعضها مستحدَث، قوامه هزّ البدن بشكل مثير، والتمايل كما هو شان الراقصة حين تبلغ الذروة في عطائها الراقص على المسرح، ويصاحب ذلك موسيقى طبق وقع الحركة، والنداء(يا حسين) يجلجل في خضم هذه الدائرة الجهنمية، والرادود يلقي القصيدة بلحن أهل الطرب الحزين، وربما بلحن أهل الطرب الذين يخرجون عن طورهم حتى يذوبوا في عالم الهيام والخيال من التمايل والتراقص والتقافز المشين.

• **العزاء المختلط.**

وقد أثار حفيظة كثير من المؤمنين الصادقين ولكن دون جدوى، جماعات مختلطة بدون خطوط فاصلة، نساء ورجال، شابات وشباب، يتداخلون فيما بينهم، يخترق بعضهم بعضا، يبدأ العزاء بلا تماس، الرجال هنا والنساء هناك، ولكن فيما بعد يتم اختراق الخطوط الفاصلة، ثم يبدا التداخل المريب، وكلها تصيح يا (حسين

)، والغريب أن نرى مثل هذه الظاهرة المريبة حتى في المدن المقدسة.

• شق الثياب.

هذا سلوك ايضا مُستحدَث في العزاء الحسيني المعاصر، لم نألفه قبل، انا بالنسبة لي شخصيا، كنت أعي على العزاء الحسيني منذ نهاية الخمسينات، فلم اجد مثل هذه الظاهرة المستهجنة، والموقف يثير كثير ا من الشبهات، حيث يتهيا أحدهم وقد شق ثوبه من فتحة العنق طوليا، حتى يقترب من الركبة، وأثناء اشتداد الهيجان، حيث يأخذه حماس لا اشك ان فيه شيءا من الافتعال، ثم يرفع قدمه ليدسه في نهاية الشق، ثم يضغط على الثوب ضغطا شديدا فيتمزق الثوب ! وعندها تتعالى الاصوات بشكل هستيري، وإذا كان ثمة صدق عفوي بهذه الاصوات فإني اشك بالمُمارس، انه يمثّل، رغم إني لا استبعد ان هناك من هو صادق بمثل هذا التصرف، ولكنه دون مقدمات، ومن غير تهيئة مسبقة.

• المشي على النار.

وكثيراً ما نشهده في العزاءت الحسينية في الهند وباكستان، وسبق للشيرازيين ان عملوا على تسريبها الى العراق، كربلاء، ولكن السيد محسن الحكيم حرّمها.

هذه المشاهد وغيرها اجتاحت العراق بعيد سقوط الديكتاتورية البغيضة، والمشاهد إنها تتصاعد وتيرتها عام بعد عام.

• الديسكو «الحسيني «.

ظاهرة بدأت تظهر بسيطة ساذجة قبل سنوات ثم كبرت وتطورت، ديسكو بمعنى الكلمة، قاعة كبيرة، أضواء متناوبة،

حمراء... صفراء... بنفسجية... القاعة خافتة الاضواء، موشحة بالسواد، موسيقى صاخبة، ومنشد شبه عار، وشباب يتحركون حلزونيا ودائريا، نصف بنطرون، عاري الصدر، يهوي على صدره بقوة مهولة، ويهتف يا حسين... يا حسين) ومادة الانشاد ياتي في سياقها اسم زينب وام كلثوم، فضلا عن اسم الحسين عليه السلام، والوقع الغنائي راقص، مثير، وقع اقدام متقافزة، رؤوس تتحرك بعنف غاضب في كل الاتجاهات...

ربما اختفت وقتيا، ولكن لا اشك بأنه اختفاء مؤقت، والملاحظ أن مادتها الاجرائية شباب، والملاحظ انهم شباب يغلب على وجهوههم علامات النعمة والثراء النسبي.

• **التزجيج :**

والمقصود به تكسير الزجاج في الفم، وتحدي الآخرين أن يجرأوا على ذلك، واصل العمل كما يقول هؤلاء حزنا وجزعا على الحسين عليه السلام، ولست أدري أي علاقة بين هذا وذاك ؟

التزجيج هذا لا يعدو كونه أحدى مبتدعات هذا الزمن الرديء للاسف الشديد.

والسؤال :ـ

لماذا العراق دون غيره ؟

٣ - ١

العراق كان وما زال وبسبب الحصار الظالم وبسبب طغيان صدام حسين، وبسبب المحن التي مرّ بها هذا الشعب المسكين، ثم بسبب سقوط القدوة الدينية تقريبا، وبسبب الرهاب الطائفي، والصراع الاقليمي والدولي على ارضه الطاهرة، وبسبب التناقض الطبقي المخيف، بسبب تفكك الاسرة، وانعدام التثاقف وقبل ذلك الثقافة الواعية، وبسبب تفشي مشروع العبودية الشخصية بشكل وآخر... بسبب هذه المقتربات وغيرها صار العراق بيئة صالحة لنشر الخرافة، والاساطير، والحكايات الخيالية، وثقافة المعجزة بمديات مدهشة، والذي اعتقده إن هذه الاشكال من العزاء الدخيلة ترجع إلى مجموعة اسباب موضوعية، منها ما ذكرت سلفا.

ولا استبعد أن هناك قوى خارجية او داخلية أو كليهما تعمل وتثابر على نشر وتعميق وتسييد مثل هذه المشاهد المخيفة، بغية الاساءة الى الشيعة والتشيع، وليس من شك ساعد على ذلك المنبر الذي يُدّعى ـ انه منبر حسيني ـ فيما كان وما زال يسيء الى الحسين عليه السلام، كذلك المنبر الذي ينسب إلى الائمة القدرة على الخلق والايجاد حتى من عدم، وذاك المنبر الذي ينسب إلى السيدة زينب سلام الله عليها بعض الممارسات الباطلة، كشقِّها جيبها، ونشرِها شعرها، وضربِ رأسها بالعمود وما شابه ذلك، والمنبر الذي يحاول إيهام المتلقي بان الامام صاحب الزمان حاضر في مجلسه، بل بكل جراة ووقاحة يطلب من مستمع ملاصق للمنبر أن يتنحى قليلا عن مطرحه ليجلس صاحب الزمان... وغيرها من الاسباب الموضوعية والذاتية ,

الجولة السادسة
عولمة العزاء لحسيني

١

موقع أيلاف

الأربعاء ٢٢ ديسمبر ٢٠١٠.

• في السنوات الاخيرة امتدت جغرافية العزاء الحسيني لمسافات عالمية كبيرة، فلم يعد هذا العزاء حكرا على مناطق شيعية بحتة، بل نجده في أوربا وأمريكا واسيا الصغرى وأواسط افريقيا ـ وهنا اذكر ذلك على سبيل المثال وليس الحصر ـــ وذلك بصرف النظر عن طبيعة هذا العزاء، وهويته الإجرائية والطقوسية، بل إن هذا العزاء كـ(ذكرى) مؤلمة وجارحة للشعور الإنساني راح ينفذ برائحته الطقوسية الإنسانية الى الضمير السني من المسلمين، بل هناك دعوات لاحياءه على طريقة مستلهمة من المعطيات السنية المناقبية حول الصحابة رضي الله عنهم بشكل عام، وأهل البيت عليهم السلام بشكل خاص، ومن قيم فقهية سنية تتصل بكثير من المقتربات التي تخص الجسد وأحكامه في هذا الفقه، وأحدس أن الفرق الصوفية سيكون لها دور فاعل في هذا المجال، فهم يحبون عليا حبا جما، ويعتبرونه الأب الروحي لكل المدارس الصوفية.

• هناك دعوات لاعتبار الحسين قضية إسلامية، فهو ليس للشيعة فقط، بل هو لكل المسلمين، بل هناك كتابات جديدة تريد (عولمة) الحسين، فهو شهيد عالمي، وليس شهيدا اسلاميا على وجه الخصوص

الحصري، ولعل قراءات تصدر قريبا أو على المدى المتوسط تكشف عن أن الحسين عليه السلام هو الجامع لقيم الشهادة، وكل ما عند هذا الشهيد أو ذاك هو عند الحسين ولكن ليس العكس صحيحا، ومهما كانت جدية هذه الدراسات من الناحية العلمية، فإن اتساع جغرافية العزاء الحسيني في العالم صارت أمرا واضحا، وهذه الجغرافية ليست أرضية بل مذهبية أيضا، فهناك على أقل تقدير بعض المشاركات السنية العلنية بالعزاءات التي يقيمها الشيعة هنا أو هناك، رغم إن المشاركة رمزية، فالسنة في هذه المشاركة لا يشجون رؤسهم بالسكاكين، ولا يضربون ظهورهم بالزناجيل، ولا يلطمون على صدورهم، بل هناك حزن ووجوم وتأسي، في أطار إيمان عام بمظلومية الحسين عليه السلام، وكونه شهيدا عظيما، وربما يستفيدون في ذلك من كتاب عباس محمود العقاد (أبو الشهداء) والعلايلي (سمو المعنى بسمو الذات)، والشرقاوي، وسيد عبد العزيز الا هل، وغيرهم من علماء السنة الدينيين والمدنيين حول عظمة الحسين وعظمة شهادته.

كلامي الآن وفي هذه العجالة عن العزاء الحسيني في اوربا، ففي تصوري يمكن أن يكون مدخلا فسيحا للإسهام بعولمة العزاء الحسيني، بسبب نعمة الحرية في هذا الصقع من العالم، وبسبب إمكانية التعارف الحقيقي بين الناس بلدان الأفرنج، وبسبب إمكانية الاطلاع على الحقائق أكثر في هذه البلدان (الكافرة!!!) مما لو كنا في هذا البلد الإسلامي أو ذاك، لا أقصد بالعولمة هنا اشتراك السنة من المسلمين وحسب، بل أهل الكتاب، خا صة وعيسى بن مريم سلام الله

عليه عنوان التضحية في سبيل الانسان حسب معطيات المسيحية بشكل عام، وكثيرا ما كتب المسيحيون عن الحسين بلغة إنجيلية بديعة، بل بلغة لاهوتية سماوية، وهناك من يحسب استشهاد الحسين صدى لذبيح الصليب عليه سلام الله، وبالتالي، يمكن عولمة العزاء الحسيني في اوربا.

• هل شكَّل العزاء الحسيني الذي نشهده ونشاهده كل عام في أوربا يشجع على مثل هذه العولمة؟

أي العزاء على شكل لطم، وعويل، ونشر للشعور، وطبر للرؤوس، وحرق للأقدام، وتجريح للظهور، وسب وشتم، وتخوين وتهوين لهذا الصحابي أو ذاك، وتظهير غيبي صرف للحسين شخصا وموضوعا وقتالا وخطابا؟

لا بطبيعة الحال.

العزاء على هذه الشاكلة يقلب المعادلة، يخرج الحسين من نكهته الربانية السامية السامقة الشفافة، أقصد في أوربا، لست معنيا بغير أوربا في كلامي هذا، فإن مثل هذه الأشكال العزائية تنفِّر الناس من الحسين، لا أريد أن اتحدث هنا عن اتباع الحسين مذهبيا، هذا شان آخر، ولي فيه كلام آخر في أوربا أيضا، حيث بدأت بعض الاصوات الشيعية في اوربا تنادي بتنزيه العزاء الحسيني في هذا القسم من العالم، بما يتناسب مع مكانة سيد الشهداء، عزيز الله، الحسين، سليل علي ونبتة فاطمة البتول، وبما يناسب مع فلسفة الشهادة من حيث هي، وما يناسب شهادة الحسين بحد ذاتها، هدفا، وغاية، واسبابا ونتائج.

• إن العزاء الحسيني في اوربا يجب أن يكون حضاريا بكل معنى الكلمة، نريد أن نعولم هذا العزاء، نحوله إلى عزاء إنساني، لان الشهيد، الحسين قضية إنسانية.

عولمة العزاء الحسيني في اوربا يعني أن يكون عزاء المسلمين والمسيحيين، عزاء المؤمنين بالله والمؤمنين بالحرية والضمير، عزاء الشعوب، عزاء الاديان والفلسفات التي تعمل من أجل الانسان، واوربا جاهزة لمثل هذه العولمة الحضارية الطيبة.

ما هي مفردات هذا العزاء الحسيني (العالمي) المرتقب، في أوربا أقصد كما هو أصل المشروع؟

ألف: تعريف بالقضية الحسينية من دون الايغال بتفاصيل الزمن الاسلامي السابق على الحسين عليه السلام، ونكتفي بالزمن الاسلامي الخاص بنهضته، يزيد على وجه التحديد، هناك ظلم، هناك دكتاتورية، هناك حرف لمباديء الاسلام الخالدة، والحسين أراد أن يعيد مسيرة القيم إلى دورها الأرضي الفاعل.

باء: التوكيد على شجاعة الحسين المعنوية في مواجهة تسلط العدوان والظلم والاستهتار بحقوق الانسان، من دون استعراض الصور البشعة لما جرى على الحسين والتي كثير منها لا أساس له من الصحة السندية ـــ سبق وأن نشرت في ايلاف بعض هذه الصور وزيفتها سنديا في العام الماضي، ربما اعيد الكتابة في ذلك بمناسب أربعين الحسين عليه السلام، وفيما كنا مضطرين لذلك فعلى نحو الاجمال وليس التفصيل.

جيم: ربط استشهاد الحسين عليه السلام باستشهاد العالميين،

بطريقة فنية مبتكرة، وتحويل هذه الشهادة إلى لحمة ارتباط بين الناس، على أساس حب الخير، والرغبة في نشر الفضيلة، وترسيخ السلام العالمي، في مواجهة الارهاب بكل أشكاله وأنواعه، وعلى راسه الارهاب الديني والشوفيني والطائفي والعنصري.

دال: إشراك رموز من أهل الديانة المسيحية وغيرها في الاسهام الفكري والروحي في مجريات العزاء في نطاق طروحات فكرية عالمية، تنطلق أو تستشهد بالشهادة الحسينية الكريمة.

واو: القيام بنشاطات انسانية باسم الحسين، مثل التبرع بالدم، والقيام بحملة تبرعات ضخمة لبناء مساكن ودور أيتام للمجتاجين ومدارس، على أن تنظم بطريقة فنية ومضمونة.

هاء: إظهار الحزن بصدق وأمانة، مع ممارسات خفيفة تعبر عن هذا الحزن بشكل عملي، كالبكاء والضرب الخفيف على الصدر، في منظر مهيب، خاشع، يدل على جلالة الذكرى وعظمتها وطهرها وقدسها.

واو: استثمار الاستشهاد لشن حملة فكرية ضد الارهاب والارهابيين.

زاء: التعزية المنبرية تقتصر على سرد المفاصل المهمة من المأساة، مع التركيز على الاهداف الانسانية للثورة الحسينية، الاصلاح في المقدمة، بلا إي أشارة مذهبية أو طائفية.

هذه أهم النقاط التي جالت بخاطري وأنا اطرح مشروع (عولمة) العزاء الحسيني، وأتصور أننا بذلك نساهم حقا في عولمة الحسين عليه السلام، وتحويل العزاء الحسيني الى مشروع إنساني حضاري ينفع البشرية جميعا.

٢
مشروع بنك الدم الحسيني

تتجَّمع دماءْ، انهارٌ من الدماء، انه التطبير حزنا على سيد الشهداء الحبيب الحسين بن علي عليهما السلام، تتجَّمع على الثياب البيض المسكينة لتنحدر على شكل خطوط حمراء إلى الارض، تتكاثف الدماء على شكل بقع مرعبة، على شكل دوائر مشبوبة بالرعب، خيوط مترنحة بين متسخات الطريق، واوساخه وجراثيمه.

تبتلع الارض كمية هائلة من الدم، وهناك يختلط بما نعلم وما لا نعلم من دفائن الارض، طاهرة او غير طاهرة، العلم عند الله جل وعلا، بقية الدم المسفوح المترنِّح على الارض تنتظر ماسحات البلدية، عمال البلدية يجمعون الدم بماسحاتهم التي سبق ان تلوثَّت بكل ما يمكن تصوره من قاذورات ومهملات واتساخات،الدم اختلط بحاويات البقايا غير الصالحات، تمتصها لتضيع بين ثنايا المجهول... ضاع الدم...

قال الله تبارك وتعالى:(ومن احيى نفسا كانما احي الناس جميعا).

لا يوجد على كرة الارض اهم من الدم، الدم حاجة وضرورة، منه تتكون الخلايا،ومن الخلايا تتكون الانسجة واللحم والعظام ـ وعذرا من الاطباء فانا هكذا فهمت ـــ وعندما يمر المريض بحاجة الى دم، يكون في احرج حالاته فيما إذا لم تتوفر قنينة دم، يموت... يهلك...

وكم البشرية اليوم بحاجة الى خزائن من الدم، الدم الاحتياط، الدم عند الحاجة، وكم من محتاج لقنينة دم لانه لا يملك ثمنها!

الدم (العاشوري) مهدور!

الدم (العاشوري) ينتهي بما لا يسر من مصير، لان مصيره الاهمال، مجاري الارض، حاويات الاتساخ، يختلط بما تعافه النفس والشريعة والضمير والذوق السليم!

هل يرتضي الشهيد العظيم بمثل هذا المصير لمادة الحياة ؟

اكسير الحياة؟

أن (بنك الدم الحسيني العالمي) خير حافظ لهذا الاكسير المصيري الحيوي، إنه بنك الحياة المدّخرة، التبرع بالدم باسم الحسين، وبعنوان الحسين، وعلى خطى الحسين، لهو من اعظم المشاريع التي سوف تساهم في انقاذ مئات الالاف من الناس، سيكون الدم (الحسيني) مَعلما من معالم عولمة (الحسين) بل عولمة الاسلام، خاصة بمدرسته الجعفرية الجميلة، نعم، (بنك الدم الحسيني العالمي) يمكن ان يتحول الى مشروع إنقاذ عالمي،ويمكن ان يُسجِّل في المحافل العالمية بعنوان اكبر بنك للدم الاحتياطي!

أليس ذلك انتصارا لسيد الشهداء؟

أي مصير يليق بالدم (العاشوري)، مجاري الاتساخات وقمامة المهملات ام قارورة الدم الصحية المحفوظة من أجل الحياة، وفيما أُنقذ جسم ببركة هذا الدم،فان ذلك يعني، ان هذا الدم يشتغل في داخل الاجساد، الحسين هناك، في داخل الجسد، الخلايا تتكاثر ببركة هذا الدم، القلب يشتغل ببركة هذا الدم، المخ يشتغل ببركة هذا

الدم، فيما وهذا الدم تبتلعه الارض، لا ندري اين سيكون مصيره، رغم ان المصير سيء العاقبة بلا جدال!

مشروع (بنك الدم الحسيني العالمي) تكون له فروع في كل العالم، حسب تخطيط دقيق، يشرف عليه خبراء دم عالميون،من كل العالم، حسب الحاجات، وليس شرطا ان يقتصر على الدم الموسمي (عاشوراء)، بل يتحول الى مشروع بلا اشتراط زمني، بل هو مشروع الزمن، ولكن الدم العاشوري هو المنطلق والممون الرايسي.

وأعود لاسال، اي المصيرين يسرُّ الحسين عليه السلام، المصير الذي يتساوى فيه الدم (العاشوري) مع مرميات الزائد عن الحاجة، بل مع مرميات الحاجة القذرة، شئنا ام ابينا، ام المصير الذي ينتهي بانتصار الحياة ؟

لقد ثار الحسين من اجل الحياة، فلماذا لا يكون الدم العاشوري من اجل الحياة ايضا ؟

نحو مشروع (بنك الدم الحسيني العالمي)...

هل من مرجع ديني شجاع يتبنى ذلك ؟

الحسين ينتظر!

الدم (العاشوري) من الضياع والهدر الى البناء والترميم والانقاذ...

التبرع بالدم عملية حضارية رائعة،انسانية شفافة مخلصة، فكيف إذا كانت تيمنا ببركة السيد بن السيد ابو السادة، الحسين عليه السلام ؟

فكروا يا اولوا الالباب.

٣

المشروع الحلم

طريق الحُسين

الطريق الحضاري والروحي

١- هو طريق مشاية زيارة الاربعين المباركة وهي زيارة عبادية عقائدية لشيعة العراق والعالم.

٢- هو ثلاثة شوارع عالمية كبيرة وموثثة :

الاول. من جنوب العراق لزوار الجنوب والخليج.

الثاني. شرق العراق للزورار القادمين من ايران وافغانستان وباكستان والهند.

الثالث. طريق شمال كربلاء القادم من بغداد وشمالها.

٣- قد يجف نهرا دجلة والفرات ! وقد تجف ابار النفط ! وقد تكبر او تصغر خارطة العراق ! لكن طريق الحسين ع عامراً، لا يجف ولا يتغير، لانه طريق الروح والدين والحب، زيارة الاربعين اصبحت جزءاً من الهوية العراقية الدينية والثقافية والشعبية.

٤- زيارة الاربعين للمشاية من اكبر الكرنفالات والتجمعات الدينية والثقافية والوطنية عبر العالم.

٥- على العراق حكومةً وشعباً الاستثمار الرمزي والمعنوي والمادي في لهذا الطريق.

٦- على العراق وشعبه الشروع ببناء هذه الطرق الثلاثة لتكون من معالم العراق ورموزه وجمالياته العالية.

٧- طريق الحسين ع هو طريق سريع وعريض يصمم بطاقة استيعاب وسير القرن القادم.

٨- شارع مؤثث مروريااً ومجهزّا باحدث التقنيات الهندسية والمرورية والالكترونية والجمالية في العالم.

٩- شارع المشاية يمتد على جانب هذا الشارع وهو شارع الشهداء الاحمر بلون الدماء المقدسة.

١٠- ينقسم هذا الشارع الجانبي الى قسم للمشي وقسم للدراجات(يسمح بموكب درجات هوائية حسيني وماراثون حسيني رياضي سنوي).

١١- تشجير جانبي ٴالطريق باشجار النخيل والاشجار المناسبة دائمة الخضرة وبهندسة زراعية مميزة.

١٢- يتم تاثيث هذه الشوراع الثلاثة فنياً وثقافياً لجعلها معرضاً مفتوحاً سنوياً للاعمال الفنية الحسينية والاسلامية والحضارية مثل اللوحات والنصب والجداريات والتماثيل واعمال الفن التشكيلي والادب والشعر والثقافة والتاريخ الحسيني.

١٣- تتراكم التبرعات الفنية بهذه الاعمال بخطة تهدف الى تراكم هذه الاعمال ليتحول الشارع بمرور الزمن الى معرض فن وثقافة ثابت.

١٤- يُدعى ملَّاك الاراضي التي يحتاجها المشروع الى التبرع بها كاوقاف للامام الحسين (ع)كما يتبرعون بالطعام والسكن كل عام للزوار، ويُدعى رجال الاعمال والتجار المؤمنين للتبرع للمشروع عبر العالم.

١٥- انها دعوة مفتوحة للمهندسين والمعماريين للشروع في تصاميم تروج وتدعو لهذا المشروع.

١٦- انها دعوة للمرجعية العليا وللحكومة العراقية والوقف الشيعي والعتبة الحسينية والمواكب والقطاعات الشعبية لجعل هذا المشروع حلماً ومطلباً عاماً.

١٧- هذا المشروع ذات الايحاء الرمزي سيعزز الحياة الروحية والاخلاقية وقيم الجمال والمدنية والحضارية، ويحوِّل العراق الى مركز جذب روحي وسياحي للمسلمين وغيرهم.

١٨- ندعو وسائل الاعلام والمدونين وائمة الجمع والجماعات والمساجد وكتاب الاعمدة الى الترويج لهذا المشروع الكبير.

١٩- وضع التصميم الاساس لهذه الشوارع يسمح بالشروع على تنفذها على مراحل وصولاً الى المشروع الحلم.

٢٠- يتم تصميم نماذج هندسية جمالية اسلامية موحدة لمقرات المواكب وتبنى بشكل دائم ومؤقت ويتم تحديد المسافات بينها بالطريقة المحسوبة بدقة لخدمة المشاية وتشيد من تبرعات المواكب.

٢١- رحلة الالف ميل تبدأ بخطوة حسينية نوعية واحدة.

٤

مقال شيّق عن ذات الموضوع

بقلم الاستاذ عقيل الناصري

اذا نظرنا الى تاريخها ـ الزيارة الاربعينية ـ التصاعدي في اخر ٢٠ سنة سوف نجد الثقل الاكبر هو للمواطنيين و المتبرعين في الخدمة مع دعم من الحكومة باشكال مختلفة،

لذا افضل ان تبقى الطريقة كما هي اهل المواكب يديرون امورهم مع دعم و تسهيل من قبل الحكومة.

لكن بركات و فيض الزيارة على العراق بطريقة غير مباشرة او مباشرة هو ما يجب ان تستفيد منه الدولة العراقية.

(يمكن لهذه الزيارة المباركة أن تحقق للعراق فوائد جمّة، ادرجها هنا ضمن مجموعة اقتراحات عامّة حول الزيارة ذاتها... « هذه اضافة مني لاربط المقدمة بما يلي، مع الاعتذار للاستاذ الفاضل «).

١. فيزة الزيارة يجب ان تكون بمبلغ مضاعف، اي بدل ٧٥ دولار لتصبح ٢٥٠ دولار و تذهب جميع الاموال لبناء طريق ياحسين.. و الزائر يُسلَّم صك للفيزة. مع الاخذ بعين الاعتبار خصوصية الجارة ايران.

٢. السماح لاجنبي التملك على هذا الطريق على شكل الوقف.. (القانون العراقي يمنع التملك لغير العراقيين)

٣. تطوير قانون الاستثمار العراقي ليسمح لشركات الاجنبية

في الاستثمار بالعراق بكل مايخص الزيارة، مثل معامل الاغذية و شركات الزراعة و البنى التحتية.

٤. تاسيس صندوق استثماري تشرف عليه العتبة او المرجعية بالتعاون مع مؤسسة العين او ما شابه لتبرعات لهذه الطريق او الاستثمار المحدد.

٥. تحويل هذا الطريق الى طريق الحياة.. مثلاً التبرع او بيع الاراضي للمؤسسات الخيرية بسعر رمزي لبناء دور للايتام، دور للعجزة و قرب محافظتي النجف و كربلاء دور لطلاب الحوزة.

٦. فتح معارض فنية و مسارح ثابته او متحركة لتخليد الذكرى، شهداء العراق، تاريخ العراق.

٧. التفكير بفعَّاليات خارج نطاق الزيارة تكون سنوية و مستمرة مثل رالي كربلاء او العراق فورملا ١ العراق.. مارثون كربلاء او العراق.. بطولات رياضية و فعاليات تستهدف فئة معينة من الشباب في دول العالم و غيرها.

٨. دورات campصيفية او في العطل للشباب العالم.. ليكون العراق هو مركز شباب العالم الثقافي.

٩. الحوزة.. تستطيع فتح معاهد دينية تدرس العقائد او الفقة (دورة ٦ اسابيع) او خلال العطلة الصيفية.

١٠. دورات لتعلم اللغة العربية..(احسن من معاهد الاردن و مصر) هنا القوة الناعمة كما تفضلتم.

احب ان اضيف؛ الواقع يختلف في الحقيقة عما يظهر في الاعلام او ما كنا نسعى لتسويقه، مثلاً الارقام خصوصا في يوم الزيارة

يجب ان تفهم بطريقة صحيحة، عقلية و طريقة تفكير الزائر و حركته و مكان اقامته، حتياجاتهم و غيرها.

من اين نبدء..؟

- خطوط طيران تنقل الزائرين.
- فتح الفيزا للجميع.
- تحفيز و دفع الشركات الفندقية للدخول الى العراق.
- التفكير في العراق ككل و ليس فقط بين النجف و كربلاء..

٥

والاربعينية المظلومة

الجولة السابعة
إحياء سُنن عزائية حسينية مؤثرة

• ما زلت أتذكر العزاء الحسيني، مخرجاته وانواعه ولغته منذ نعومة أظفاري في مدينتي، مدينة الابطال والشهداء، قضاء الحي، حيث كان والدي الحاج حسن علي عيسى الشابندر من رعاة وحماة العزاء الحسيني في القضاء المذكور، وربما لهذا السبب تختزن ذاكرتي الكثير من صور وذكريات ومخرجات هذا العزاء العظيم.

من اروع ما أتذكره من هذه الصور والمشاهد إقامة العزاء في السوق الكبير من المدينة، اي مدينة الحي، حيث كان هناك سوق القمّاشين المعروف، بدايته كانت عبارة عن فسحة كبيرة نسبيا، وإقامة العزاء فيها لم يؤثر على سير المارّة، ولا يعرقل أعمال الناس، بل يزيد من حركة النشاط التجاري المحدود قبل بديء العزاء وبعد إنتهاء العزاء، ويحرص القاريء في مثل هذه العزاءات،اي عزاء السوق الاختصار، ويتقاطر ابناء المحلات القريبة الى حضور هذا العزاء المختصر، والمادّة الغالبة على العزاء هو الطابع التراجيدي، واعتقد من البساطة إحياء هذه السُنّة الحميدة، ولكن بشرطها وشروطها، أي يجب أن تكون محكومة بالمكان اللائق والزمن المناسب، بعيدا عن الضوضاء وإزعاج الناس، وأن يكون مختصر، يكتفي بالهوية الحزينة، يغلب عليه الوعظ والارشاد، مشددا على حقوق الجار، واحترام الآخر،

مجلس بسيط سريع ومفيد، يشيع في المنطقة وما حواليها من قرب أجواء الحزن العاشوري الموقّر.

• من المشاهد العزائية الحسينية التي كانت منتشرة، وربما مازالت موجودة وإن بنسبة ضئيلة العزاء المنزلي، اقصد أن يقام العزاء الحسيني في المنزل، بل كانت هذه الظاهرة مشهورة جدا، حتى إن الناس يعرفون أن بيت أو منزل فلان إنما هو منزل عزاء في محرم أو في رمضان، وأحيانا عزاء خارج زمن العزاء التقليدي، اي عاشوراء، وهذا اللون من العزاء كان يرسّخ العلاقات بين ابناء المنطقة الواحدة، ويتحول إلى ورشة عمل وتعاون وتفاهم بين صاحب المنزل والجيران، وربما يدخل الجيران بصفة مساهمين مؤثرين في العزاء.

هذا النوع من العزاء ينبغي هو الآخر ان يقتصر على المصيبة، سريع، يحترم خصوصيات الناس، بعيدا عن الضوضاء والجلبة، لا يخرج صوت القاريء والمعزين جدران البيت أو المنزل، لما في ذلك من ألحاق الأذى بالناس.

• ومن المقتربات التي يمكن أن تعطي لمشروع العزاء الحسيني دفعة روحية قوية أن يقيم المراجع الكبار هذه الشعيرة، وإن بشكل رمزي، والحقيقة إن مثل هذه المجالس، اي المجلس المرجعي إذا صحّ التعبير سيكون ـ وهو المفترض ـ ارقى وأنقى المجالس، فمن المؤكد سوف تكون مادته تحت إشراف المرجع، وكما اتصور، إن المرجع في مثل هذه الحالة يؤكد على الجانب المأساوي من القضية، ولا يحبذ

الكلام خارج هذه الدائرة، وفيما كان هناك خروج عن هذه الدائرة ستكون المادة متاخمة لما ذكرت، كأن تكون مادّة اخلاقية، او مادّة مناقبية، أو مادة وعظية، وأنا اتصور ذلك حسب معرفتي العامة بالجو المرجعي في مثل هذه القضايا.

• ومن الطقوس التي عاصرْتُها في مدينتي، قضاء الحي، إن القاريء كان يسبقه واعظ، يعتلي منصة المنبر، ويلقي درسا اخلاقيا سريعا، بحيث لا يتجاوز الدقائق العشر، ومن ثم يرتقي الخطيب المنبر ليؤدي وظيفته، ومن الشائع أن هذا الواعظ الذي يبدأ القراءة من عيون المدينة، مشهود له بالتقوى وشيء من المعرفة الدينيةذات البصيرة الاجتماعية، ولم يُعهد أنه يتقاضى أجرا على ذلك، إن إعادة هذه السّنة يزرِّق العزاء الحسيني بشيء من الروحانية السامية، كما إنه يهيئ الاذهان وينشِّططها لاستقبال حديث الخطيب.

• ومن المشاهد الجميلة كنت ارى اصحاب المجالس وفي كثير من الاحيان يخصصون مكانا هادئا مريحا للاطفال، والاطفال ينصتون وكأنهم ملائكة، وليس من شك إن هذا الانصات جاء بتوجيه الآباء والامهات، وفيما احدث طفل لغطا أو ما من شأنه تعكير صفو المجلس يلاطفه الخطيب ويطلب إليه بأدب جم أن يعاود الهدوء والانصات.

• ومن المشاهد الجميلة المؤثرة التي عاصرتها في مدينتي، الحي المناضلة، إن المجلس كثيرا ما يتبنى سد حاجة ماسة فورية، وذلك

بالاعلان عن عنوانها ومتطلباتها دون ذكر اسم المحتاج، وما أن يعلن عن ذلك عرّيف أو وجه المجلس حتى يتقاطر المعزّون لجمع المال المطلوب، وكلٌ حسب طاقته، وكل ذلك بمعية الصلاة على النبي الكريم، واهل بيته الكرام، مع بيان سريع، على شكل رواية أو حديث نبوي أو إمامي أو آية قرآنية تشجع وتحمِّس المتلقي على البذل والعطاء.

• وكثيرا ـ كما قلتُ قبل قليل ـ ما يُبدأ العزاء بخطبة وعظية شفافة، ثم ياتي دور العزاء الفعلي، اي العزاء الروزخوني إذا صحّ التعبير، و كثير من العزاءات تختم بلطمية خفيفة، وتكون مسك الختام، وفعلاً وفيما كنت أتابع هذا التسلسل العزائي الجميل تكون الخاتمة المذكورة خيرا.

• ومن المشاهد الجميلة التي كانت تعجبني وتبهرني والتي افتقدناها فيما بعد للاسف الشديد، إن كثيرا من المعزّين يستثمرون الخطيب للاستزادة من بعض الحوادث أو الوقائع التي تطرق إليها في خطبته ولكن ليس على مستوى من الوضوح والبيان، وذلك بعد أن ينتهي من الخطابة، وكنت أرى بعض المعزّين يسارع الخطى كي يلتحق بالخطيب فيما غادر المجلس مسرعا، وذلك بهدف الاستفسار عن بعض ما جاء في كلامه.

وأخيرا

هل من مجيب...

إنقاذ الشعائر الحسينية من الابتذال والاسراف والتعطيل والمبالغة والاستغلال...

وإلا المستبقل لا يبشر بخير حتى إذا كان عدد زوار الاربعين مئات الملايين.

والله من وراء القصد.

محتويات الكتاب

المقدَّمة 7

الجولة الاولى

مقتربات على طريق المحاولة 11

الجولة الثانية

العزاء الحسيني في القرون الثلاثة الأخيرة 21

الجولة الثالثة

جماهير الحسين عليه السلام 27

الجولة الرابعة

عزاء (طويريج) بالخصوص 63

الجولة الخامس

وكانت الانتكاسة 71

الجولة السادسة

عولمة العزاء لحسيني 85

الجولة السابعة

إحياء سُنن عزائية حسينية مؤثرة 101

العزاء الحسيني

ماضٍ شفاف ... حاضر مرتبك... مستقبل مجهول